الفصل الثاني

دلالات شواهد القراءات القرآنية في التهذيب

- علىٰ مستوىٰ تنوع الحركات ووجوه الإعراب.
- علىٰ مستوىٰ تصريف الأفعال.
- علىٰ مستوىٰ الزيادة والنقصان.
- علىٰ مستوىٰ إبدال الحروف من الكلمة الواحدة.

تمهيد

لقد أكثر المصنف من الاستشهاد بالقراءات القرآنية في معجمه، فلا تجد بابًا من أبوبه أو فصلا من فصوله، إلاّ وقد زينه بقراءة قرآنية، وبيّن المعنىٰ منها، سواء أكان هذا المعنىٰ جديدا غير المعنىٰ الموجود في القراءة الأولىٰ أم أنّ المعنىٰ واحد فيهما.

ومن المعلوم أن الهدف الأساسي من الاختلاف في القراءات القرآنية هو التيسير علىٰ الأمة ورفع الحرج عليها، في قراءة كلام ربّها ﷻ، لكن إلىٰ جانب ذلك الهدف احتوت القراءات القرآنية جوانب أخرىٰ أعطت للنص القرآني تباينه وتميزه وعظمته وإعجازه.

ومن هذه الجوانب تعدد المعاني بتعدد القراءات؛ إذ أن بعض القراءات زادت معنىٰ جديدا لم توضحه القراءة الأخرىٰ، وبذلك اتسعت المعاني باتساع القراءات.

وسوف أدلّل -في هذا الفصل- علىٰ ذلك بما سنورده من شواهد القراءات القرآنية في متن معجم التهذيب التي استعملها الأزهري للاستلال علىٰ المعاني الجديدة.

وبما أن الاختلاف في القراءات -كما ذكرتُ- لا يخرج عن ثلاث أمور من حيث اختلاف المعاني والدلالات تكمن في:

1. **اختلاف اللفظ لا المعنىٰ.**
2. **اختلافهما جميعًا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.**
3. **اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضىٰ التضاد.**

إن مجمل ما استشهد به الأزهري من الشواهد القرآنية لا تخرج عن هذه

الاختلافات ولا تخرج كذلك علىٰ أن تكون هذه القراءات جاءت بمعان جديدة، لم تكن في الأولىٰ، أو أن المعنىٰ واحد فيه، أو أن هذه القراءة أكدت المعنىٰ الأول؛ وعلىٰ هذا الأساس يمكن أن أقسم شواهد القراءات القرآنية عنده إلىٰ ما يلي:

* **شواهد القراءات القرآنية ذات الدلالات الجديدة .**
* **شواهد القراءات القرآنية ذات المعنىٰ الواحد.**
* **شواهد القراءات القرآنية المؤكدة للمعنىٰ الأول..**

* أما فيما يخصّ القسمين الثاني والثالث فلم أقم بتحليلهما، لعدم وجود معاني جديدة فيهما، ولأن عملي في هذا الفصل هو البحث عن المعاني الحديدة لا أن أعدّد المعاني المتشابهة والمتكررة، لذا تم التركيز علىٰ القسم الأول وهو القراءات ذات الدلالات الجديدة، وقد اعتمدتُ في تقسيم هذا الفصل علىٰ مستويات رأيتها تناسب ما أورده الأزهري من شواهد، وهي:

* **مستوىٰ تنوع الحركات ووجوه الإعراب.**
* **مستوىٰ تصريف الأفعال.**
* **مستوىٰ الزيادة والنقصان.**
* **مستوىٰ إبدال الحروف من الكلمة الواحدة.**

وبما أن وجدت العديد من الشواهد التي ذُكرت في المعجم، أعرضت صفحا عن بعضها وحلّلتُ بعض النماذج منها فقط، واكتفيت بالإشارة إليها في الهامش.

وأما منهجي في هذا الفصل؛ فإنني قمت بجمع الآيات القرآنية التي استشهد بها الأزهري وأتىٰ بمعان جديدة لها، ثم رتبتها وفق المستويات المذكورة سابقًا، ثم بيَّنت بعض نماذج القراءات الواردة فيها من حيث تنوع الحركات أو الحروف، أو تغير الكلمات أو من حيث التقديم أو التأخير أو الزيادة أو النقصان ثم ذكرت بعض آراء المفسرين وقارنتها بقول الأزهري، ثم أظهرت ما يؤديه تنوع القراءات

في تفسير الآيات الكريمة من الدلالات الجديدة، وفي أحايين قليلة كنت أجمع بينهما وأَستخرِجُ العلاقة بينهما ما استطعت لذلك سبيلاً.

المبحث الأول

على مستوى تنوع الحركات ووجوه الإعراب

المطلب الأول

على مستوى تنوع الحركات

المسألة الأولىٰ: الاختلاف في الضم والفتح[1]:

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: **10**].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ أوّبي، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ الجمهور أَوِّبي بفتح الهمزة وتشديد الواو من التأويب وهو الترجيع.

- وقرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من الأوب وهو الرجوع[2].

---

(1) سأقوم بتحليل نموذجين فقط، وذلك لكثرة المسائل التي تطرق لها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: الزَّبور والزُّبور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، وسُلُفا وسَلَفا في قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56].

(2) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج22 - ص46.

أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج7 - ص262. =

أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنىٰ هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنىٰ الآية الكريمة يعتمد علىٰ القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنىٰ أوِّبي وأوبي، وفي ذلك يقول الإمام الطبري: «يقول تعالىٰ ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلا وقلنا للجبال أوّبي معه سبحي معه إذا سبح، والتأويب عند العرب الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله ... وقد كان بعضهم يقرؤه أوبي معه من آب يؤوب بمعنىٰ تصرفي معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة»[1].

فأوّبي معناها سبحي ومعنىٰ أوبي من آب يؤوب رجع، كما أن الطبري لا يستجيز هذه القراءة لأنه لم يقرأها الحجة كما يقول، ونجد بعض المفسرين يجمعون بين المعنيين، يقول الزمخشري: «وقرئ أوّبي وأوبي من والتأويب والأوب؛ أي رجّعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه»[2].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال رحمه الله: «فمن قرأ أَوِّبي معه معناه رَجِّعي معه التَّسْبيح ومن قرأ أُوبي معه فمعناه عُودي معه في التَّسبيح كلّما عاد فيه»[3].

فقد ذكر الأزهري في هذه الآية معنىٰ أوّبي بالهمزة المفتوحة وتشديد الواو رجّعي مع تسبيح داود، ومعنىٰ أوبي من الفعل آب إذا رجع.

= وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص458.

ود. عبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج7 - ص240.

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج22 - ص75.

(2) الزمخشري - الكشاف - ج3 - ص85.

(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج15 - ص607.

إن تنوع القراءات القرآنية في هذه الآية الكريمة يظهر المعنىٰ الكلي للآية الكريمة بأكمل وأجلىٰ وجه، وقد علم أهل التفسير أن تنوع القراءات يفضي إلىٰ تنوع المعاني ولذلك راحوا يفسرون الآيات علىٰ حسب القراءات، ولعلنا نستطيع الجمع بين القراءتين إذا قلنا أن تسبيح الجبال مع داود فيه نوع من الترجيع والعودة معه في هذا التسبيح.

النموذج الثاني:

الآيــة: قــال الــلــه جــل وعــز: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ **[الكهف: 33، 34].**

القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله (ثَمرٌ) بالنسبة لمستوىٰ الحركات علىٰ وجهين هما:

- قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي ثُمُر بضم الثاء والميم.
- وقرأ وعاصم ثَمَر بفتح الثاء والميم[1].

أقوال المفسرين:

اختلف أهل التفسير في معنىٰ الآية علىٰ حسب وجوه قراءة ثمر:

فالطبري أتىٰ بمعنىٰ كل قراءة؛ فأما القراءة بضم الثاء والميم فمعناها المال، فقال: «كان له ذهب وفضة وقالوا -أي الصحابة- ذلك هو الثُمُر لأنها أموال مثمرة يعني مكثرة»[2].

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص264.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص125.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص290.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج5 - ص206.

(2) الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن - ج15- ص245.

وأما علىٰ القراءة الثانية: «وكان له ثَمَر، بفتح الثاء والميم، بمعنىٰ جمع الثمرة كما تُجمع الخشبة خَشَبا والقصبة قَصَبا[1].

ووافقه علىٰ هذا التفسير كل من القرطبي وأبي حيان الأندلسي وابن كثير[2].

توجيه القراءات:

قال الأزهري: «ما كان في القُرآن من ثُمُرٍ فهو مال وما كان من ثَمَر فهو الثِّمَار»[3] فلم يخرج الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ في معنىٰ ثمر لضم الثاء والميم أو فتحهما؛ فبضم الثاء والميم جمع ثمار وهو المال المثمر؛ وبفتحهما معناه الثمار، وهو الأصل، يعني ثمار الجنة أو البستان.

إن تنوع أوجه الأداء الوارد في هذه الآية الكريمة يثري المعنىٰ القرآني، بحيث يعطي صورة متكاملة لموضوع الآية الكريمة، فالقراءة الثانية كمّلت المعنىٰ لأن المال يأتي به الإنسان من طرق عديدة منها اعتماد الأراضي واكتساب أشجار الثمار.

المسألة الثانية: الاختلاف في الضم والكسر[4]:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **[البقرة: 260].**

(1) المصدر نفسه - ج15- ص246.

(2) ينظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج10 - ص403.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص125.
وابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج3- ص84.

(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج15 - ص84.

(4) هناتك نماذج لم أتطرق لها بالتحليل، في هذا الباب، منها سُخريا وسِخريا بضم السين وكسرها في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون: 110].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ فصرهن، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ حمزة وأبو جعفر ورويس والأعمش فصِرْهُنَّ بكسر الصاد.
- وقرأ الباقون بالضم[1].

أقوال المفسرين:

دارت أقوال أكثر المفسرين في تأويل هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل قراءة من القراءات، بفتح الصاد ووكسرها:

يقول الطبري: «فصُرهن إليك بضم الصاد من قول القائل صرت إلىٰ هذا الأمر إذا ملت إليه أصور صورا ... فمعنىٰ قوله فصرهن إليك اضممهن إليك ووجههن نحوك كما يقال صر وجهك إلي أي أقبل به إلي»[2].

ولم يخرج القرطبي عما أورده الطبري في معنىٰ القراءتين إلا أنه بيّن القراءات الأخرىٰ غير التي ذكرناها والموجودة في غير القراءات السبع[3].

وذكر أبو حيان القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة وبَيَّن وجه كل قراءة فقال أبو حيان: «وإذا تؤول فصرهنّ بمعنىٰ القطع ... وتقديره وقطعهنّ واجعلهنّ أجزاءً، وعلىٰ تفسير فصرهنّ بمعنىٰ أملهنّ وضمهنّ إلىٰ نفسك فإنما كان ذلك ليتأمل أشكالها وهيئاتها وجلاها لئلا يلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك»[4].

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص190.
الأزهري - تهذيب اللغة - ج12 - ص227.
وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص200.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج3 - ص52.

(3) ينظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج3 - ص301.

(4) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج2 - ص311.

فلا خلاف عند المفسرين في معنىٰ الآية، فصُرهن بالضم معناه أملهن إليك ووجههن، وبكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن.

توجيه القراءات:

ذكر الأزهري معنىٰ كل قراءة بعدما استشهد بالآية، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَصيرُ يميل وكلّهم فسَّروا فُصُرْهُن أَمِلْهُنَّ، وأما فَصِرْهنَّ بالكسر فإنَّه فُسِّر بمعنىٰ قَطِّعْهن»[1].

فلم يخرج الأزهري عما أتىٰ به المفسرون، فمعنىٰ فصرهن بالضم الميل، ومنه قول الشاعر:

اللَّهُ يَعلَمُ أَنّا في تَلَفُّتِنا يَومَ الفِراقِ إِلىٰ أَحبابِنا صُوَرُ[2]

ومعنىٰ الكسر القطع أي فقطعهن. وحاصل القراءتين أنهما قراءتان لا تضاد في معنييهما، وقد جمع بينهم السيوطي بقوله: «فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك بكسر الصاد وضمها أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ثم اجعل علىٰ كل جبل من جبال أرضك منهن جزءا ثم ادعهن إليك يأتينك سعيا سريعًا»[3].

المسألة الثالثة: الاختلاف في الفتح والكسر[4]:

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ **[التوبة: 12].**

---

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج12 - ص227.

(2) البيت لإبراهيم بن هرمة. والصور بصاد مهملة: جمع أصور، وهو المائل من الشوق من صور يصور صورًا بالتحريك: مال. وأصاره فانصار: أماله فمال.
ينظر: عبد القادر البغدادي - خزانة الأدب - ج4 - ص205.

(3) السيوطي - تفسير الجلالين - ج1 - ص58.

(4) سأقوم بتحليل نموذجين فقط، وذلك لكثرة المسائل التي تطرق لها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها:
مستنفَرة ومستنفِرة بفتح الفاء وكسرها في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ [المدثر: 50]، =

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (أيمان)، علىٰ مستوىٰ تنوع الحركات علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم أَيمان بفتح الهمزة.

- قرأ ابن عامر وحده لا إيمان لهم بكسر الهمزة[1].

أقوال المفسرين:

بيّن المفسرون معنىٰ الآية علىٰ حسب القراءات الواردة فيها، واجتمعوا علىٰ أيمان بفتح الألف معناها العهود، وإيمان بكسر الألف معناها الأيمان مصدر آمن[2]، يقول القرطبي: «لا أَيمان لهم أي لا عهود لهم أي ليست عهودهم صادقة يوفون بها وقرأ بن عامر لا إيمان لهم بكسر الهمزة من الإيمان أي لا إسلام لهم

ومسوَّمين ومسوِّمين في قوله تعالىٰ: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125]،

ومنشآت ومنشئات بفتح الشين وكسرها في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن: 24]،

ومنسَكا ومنسِكا بفتح السين وكسرها من قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: 34].

وبرَق وبرِق بفتح الراء وكسرها من قول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة: 7].

وقَرن وقِرن في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33].

ومستقَر ومستقِر بالفتح والكسر في قوله تعالىٰ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: 98].

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص312.

وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص302.

وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج3 - ص351.

(2) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج15 - ص87.

والزمخشري - الكشاف - ج02 - ص238.

وأبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج5 - ص17.

ويحتمل أن يكون مصدر آمنته إيمانا من الأمن الذي ضده الخوف أي لا يؤمنون من آمنته إيمانا أي أجرته»[1].

لعلنا نستشف من قول القرطبي هذا أن أيمان معناها العهود والمواثيق وإيمان بالكسر ذكر رحمه الله معنيين لها؛ فالمعنىٰ الأول تعني الإسلام، والثاني مصدر آمنه إيمانا من الأمن ضد الخوف.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال رحمه الله: «فمن قرأ بكسر الألف فمعناه إنهم إذا أجارُوا وآمَنُوا المُسلمين لم يَفُوا وغَدَروا والإيمان هاهنا الإجارة والأمانة»[2].

فقد ذكر الأزهري في هذه الآية معنىٰ إيمان بالكسر وفسر الإيمان بالإجارة والأمانة، وبذلك نجده يخالف بعض المفسرين في معنىٰ هذه القراءة، إلا أن سياق الآية يحتمل ما ذكره المفسرون وما ذكره الأزهري، والخلاصة أن أيمان بالفتح العهود والمواثيق، وبالكسر تحتمل الإسلام أو الأمن ضد الخوف أو ما ذكره الأزهري وهو الإجارة.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ **[النور: 34].**

القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله (مُبَيِّنَاتٍ) علىٰ مستوىٰ العلامات الإعرابية، علىٰ وجهين، وقد ذكرهما الأزهري في معجمه، وبينهما أهل الاختصاص، وهما كما يلي:

(1) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج8 - ص75.

(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 - ص74.

- قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بن عاصم مبيَّنات بفتح الياء المشددة وافقهم ابن محيصن.

- وقرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وكذا أبو جعفر ويعقوب مبيِّنات بكسر الياء[1].

أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها؛ فهذا الطبري أتىٰ بمعنىٰ كل قراءة وشرح كل وجه؛ فذكر أن: «مبينات بفتح الياء بمعنىٰ مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنىٰ أن الآيات هن تبين الحقَ والصواب للناسَ وتهديهم إلىٰ الحق»[2].

ولم يخرج الشنقيطي عما ذكره الطبري، في معنىٰ مبيِّنات بالفتح وبالكسر: «فعلىٰ قراءة من قرأ بفتح الياء فلا إشكال في الآية لأن الله بينها وأوضحها وعلىٰ قراءة من قرأ مبينات بكسر الياء بصيغة اسم الفاعل ففي معنىٰ الآية وجهان معروفان:

أحدهما: أن قوله مبيِّنات اسم فاعل بين المتعدية وعليه فالمفعول محذوف أي مبينات الأحكام والحدود.

والثاني: أن قوله مبينات وصف من بين اللازمة وهو صفة مشبهة وعليه فالمعنىٰ آيات مبينات أي بينات واضحات»[3].

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات- ص230.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص453.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص224.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص265.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج29 - ص105.

(3) الشنقيطي - أضواء البيان - ج5 - ص536.

والملاحظ من تعريف الشنقيطي أن معنىٰ الكسر أنها بينتهي الأحكام والحدود، جعل الفعل لها علىٰ المجاز، والمعنىٰ الثاني من الفعل بيَّن بمعنىٰ تبيّن.

توجيه القراءات:

قال الأزهري: «مُّبَيِّنَاتٍ بكسر الياء وتشديدها بمعنىٰ مُتَبَيِّنات ومن قرأ مُبَيَّنات بفتح الياء فالمعنىٰ إن الله بَيَّنها»[1].

واستشهد للقراءة الثانية بالمثل: «قد بيّن الصبح لذي عينين»[2].

وفسر ابن خلويه في كتابه حجة القراءات السبع الفتحَ بأنها مفسرات، والكسر بمعنىٰ مفصلات[3].

وأشار ابن زنجله إلىٰ أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة، واحتج لكل وجه حيث قال: «مبيَّنات بفتح الياء أي لا لبس فيها وحجتهم قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118] والفعل مسند إلىٰ الله فهي الآن مبينات بدلالة ما في التنزيل علىٰ صحة وجه إخراجهن مفعولات ... ومبيِّنات بالكسر المعنىٰ بين لكم الحلال من الحرام فهن الفاعلات، فأسندوا التبيين إلىٰ الآيات[4].

وخلاصة القراءتين أن بالكسر الآيات هي التي تبين الأحكام، فهي فاعل وبالفتح اسم مفعول أي أن الله هو الذي يبينها.

المسألة الرابعة: في الحركات والتسكين:

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ **[الفرقان: 48].**

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج15 - ص496.

(2) المصدر نفسه الجزء والصفحة.

(3) ينظر: ابن خلويه - حجة القراءات السبع - ص121.

(4) ابن زنجلن حجة القراءات - ض: 498.

القراءات الواردة:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (نشر) من حيث الحركات والسكون علىٰ وجهين بَيّنَهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الآتي:

- قرأ نافعٌ وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب، نُشُرا، بضم النون والشين جمع ناشر.

- وقرأ عبد الله وابن عباس وابن وثاب والنخعي وطلحة بن مصرف والأعمش ومسروق وابن عامر بضم النون وإسكان الشين، نُشْرا[1].

أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها، ويظهر ذلك جليا في أقوالهم:

فهاهو ابن جرير الطبري يفسر ذلك بقوله: «والنَشْر، بفتح النون وسكون الشين، في كلام العرب من الريّاح الطيبة اللينة الهبوب التي تنشئ السحاب، وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهي نَشْرٌ»[2].

ونرىٰ البغوي لا يخرج عن هذا المعنىٰ، يقول[3]: «وقرأ حمزة والكسائي نَشرا بالنون وفتحها وهي الريح الطيبة اللينة قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: 30]».

ونجد القرطبي كذالك يفسر الآية علىٰ حسب القراءات المتعددة فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «نُشُرا، بضم النون والشين، جمع ناشر علىٰ معنىٰ النسب أي ذات نشر فهو مثل

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص465، 420.
ابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص270.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص418.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص361.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج8 - ص209.

(3) البغوي - تفسير البغوي - ج2 - ص167.

شاهد وشهد ويجوز أن يكون جمع نشور كرسول ورسل يقال ريح النشور إذا أتت من ها هنا وها هنا»[1].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون التي ذكرناها من قبل، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قرأ: نَشْرًا فمعناه إحياء بنشر السِّحاب الذي فيه حياة كلِّ شيء، ومن قرأ: نُشْرًا ونُشُرَا، فهو جمع نَشور، مثل: رسول، ورُسُل ورُسْل»[2].

ومنه قول امرئ القيس[3]:

كـأن الـمـدامَ وصـوب الـغـمـام وريـح الـخـزامـي ونَـشْـر الـقـطـر

والخلاصة أن فتح النون وإسكان الشين في نشرا هو مصدر نشر بعد الطي أو من أنشر الله الميت، فنشر أي عاش ونصب علىٰ الحال أي ناشرة أو ذات نشر كما تقول جاء ركضا أي راكضا، وأما من قرأ نُشُرا فهو جمع نَشُور مثل رَسُول ورُسُل.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾ **[البقرة: 88].**

القراءات الواردة:

أظهر علماء القراءات وجهين للفظة (غلف) علىٰ النحو التالي:

قرأ الجمهور غُلْفٌ بالتسكين.

وقرأ ابن عباس والأعرج وابن هرمز وابن محيصن غُلُفٌ بضم اللام وهي مروية عن أبي عمرو[4].

---

(1) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج7 - ص229.

(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 - ص338.

(3) امرئ القيس - الديوان - ص75.

(4) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص164. =

أقوال المفسرين:

اختلف أهل التفسير في معنىٰ الآية علىٰ حسب وجوه قراءة غلف، فهذا الطبري يفسرها علىٰ حسب قراءاتها: «وقرأه بعضهم وقالوا قلوبنا غلف مثقلة اللام مضمومة فأما الذين قرءوها بسكون اللام وتخفيفها فإنهم تأولوها أنهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف والغلف علىٰ قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف والمرأة غلفاء»[1].

وفسر الزمخشري ذاك أن قلوبهم: «خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ﷺ ولا تفقهه، وأن الله خلق قلوبنا في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة»[2] وذلك بقراءة التسكين.

ولم يخرج ابن كثير عن تلك الدلالة إلاّ في العبارة بقوله في قراءة ضم اللام» وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج إلىٰ علمك»[3].

توجيه القراءات:

قال الأزهري في بيانه معنىٰ القراءتين» من قرأ: غلُف، بالضم، فهو جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية للعلم، كما أن الغلاف وعاء لما يوعىٰ فيه، وإذا سكنت اللام كان جمع أغلف، وهو الذي لا يعي شيئًا، وسيف أغلف: إذا كان في غلاف، وجمعه غلْف»[4].

= أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج1 - ص301.

وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص184.

(1) الطبري - الجامع لأحكام القرآن الكريم - ج1 - ص407/ 408.

(2) الزمخشري - الكشاف - ج1 - ص190/ 219.

(3) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج1 - ص124.

(4) الأزهري - تهذيب اللغة - ج8 - ص135.

ومنه قول الرسول ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان: «القُلُوبُ أَرْبَعَةٌ فقلْبٌ أَغْلَفُ فَذَاكَ قَلْبُ الكَافِرِ ...»[1].

وقد اختار الطبري القراءة بتسكين اللام بقوله: «والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله قلوبنا غلف هي قراءة من قرأ غلف بتسكين اللام؛ بمعنىٰ أنها في أغشية وأغطية لاجتماع الحجة من القراء وأهل التأويل علىٰ صحتها»[2].

ولعل المعنىٰ الذي يجمع بين القراءتين أن القلب المغلّف الذي يشبه الغلاف، يكون ذات خلقة متصفة بالستر والإغلاق. فهناك علاقة بين الاسم وهو الغلاف وبين الصفة وهي الأغلف.

المسألة الخامسة: الاختلاف في عدّة حركات:

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ تكلمهم، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ الجمهور (تُكَلِّمُهُمْ) بضم التاء وفتح الكاف وتشديد اللاّم.

- وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير والحسن والجحدري (تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وسكون الكاف ولام مخففة[3].

---

(1) جلال الدين السيوطي - الدر المنثور - ج1 - ص315.

(2) الطبري - الجامع لأحكام القرآن الكريم - ج1 - ص408.

(3) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص204.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص173.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص558.

أقوال المفسرين:

أتىٰ المفسرون بمعنىٰ كل قراءة حوتها الآية؛ فعن القراءة الأولىٰ بالتشديد وفتح الكاف هي من الكلام، وهو الحديث، فالدابّة تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق، فتقول أي تخاطبهم مخاطبة أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِأيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأنّ خروجها من الآيات[1].

وبالنسبة للقراءة الثانية تكلمهم، بفتح التاء وتسكين الكاف معناها تجرحهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم[2].

توجيه القراءات:

لم يخرج الأزهري المعنىٰ الذي ذكره المفسرون بقوله: «قرأ بعضهم تَكْلِمُهُمْ وفُسِّر تجرحهم والكلام: الجراح، وكذلك إن شُدِّدَ تُكَلّمُهُم فذلك المعنىٰ تجرِّحهم، وفُسر فقيل: تسمهم في وجوههم، تسم المؤمنين بنقطة بيضاء، فيبيض وجهه وتسم الكافر بنقطة سوداء فيسودُّ وجهه»[3].

فمعنىٰ القراءة الأولىٰ تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام تخبرهم وتحدثهم، ومعنىٰ القراءة الثانية تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنىٰ تسمهم وتجرحهم. والقراءة الأولىٰ هي التي اختارها الطبري[4].

والملاحظ من قول الأزهري أنه فسّر القراءة الأولىٰ بتشديد الكاف بمعنىٰ الجراح كالقراءة الثانية؛ فتكلِّمهم تحتمل المعنيين، الكلام وهو الحديث، أو الكلم وهو الجرح.

---

(1) وينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم - ج3 - ص375.

(2) الزمخشري - الكشاف - ج3 - ص319.

(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج10 - ص264.

(4) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج20 - ص16.

النموذج الثاني:

الآيــة: قــال الــلــه جــل وعــز: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: 55].

القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله قبلا علىٰ وجهين علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ قُبُلا، بضم القاف والباء، عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف.
- وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع ومجاهد بكسر القاف وفتح الباء[1].

أقوال المفسرين:

اختلف أهل التفسير في معنىٰ الآية علىٰ حسب وجوه القراءة الواردة فيها، فأما القراءة بضم القاف والباء فقد فسرها محمد الأمين الشنقيطي بالقراءتين، «فأما علىٰ القراءة بضمتين جمع قبيل أي أنواعًا مختلفة يتلو بعضها بعضًا وعلىٰ قراءة من قرأ قِبَلًا كعنب فمعناه عيانًا أي أو يأتيهم العذاب عيانًا وقد يكون معناها فجأة[2].

توجيه القراءات:

لم تختلف الدلالة اللغوية والدلالة التفسيرية لهذه الآية الكريمة، وهذا ما بينه

(1) ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص262/ 263.
والطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج26- ص173.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص193.
القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج17 - ص154.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص392.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج5 - ص245/ 246.

(2) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي - ج3 - ص503.

الأزهري بعدما ذكر الآية، بقوله: «فمن قال قُبُلاً فهو جمع قَبيل المعنىٰ ويأتيهم العذاب ضُروبًا ومَن قرأ قِبَلاً فالمعنىٰ أو يأتيهم العذاب معَاينَة[1].

وانتصاب قبلاً علىٰ الحال علىٰ كلتا القراءتين؛ فبالضم يكون معناه حالة كون العذاب أزواها وضروب، وعلىٰ كسر القاف وفتح الباء معناه حالة كونه معاينة أمامكم.

(1) ينظر الأزهري - تهذيب اللغة - ج9 - ص164.

المطلب الثاني

على مستوى العلامات الإعرابية

المسألة الأولىٰ: في الرفع والنصب:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ **[الأعراف: 32].**

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿خَالِصَةً﴾ من حيث العلامات الإعرابية، علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ ابن عباس ونافع وبعض قراء المدينة خالصةٌ برفعها بمعنىٰ قل هي خالصة للذين آمنوا.

- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وعاصم وسائر قراء الأمصار خالصةً بنصبها علىٰ الحال[1].

أقوال المفسرين:

يكاد المفسرون يجتمعون علىٰ أن زينة اللَّهِ من الثياب وكل ما يُتجمّل به وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرّزْقِ المستلذات من المآكل والمشارب يشترك فيها المشرك والمؤمن» لأنّ المشركين شركاؤهم فيها خَالِصَة لهم يوم الْقِيَامَة لا يشركهم فيها أحد

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص280.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج4 - ص291.
ابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص291.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص223.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج3 - ص35.

فإن قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم»[1].

وقال السيوطي في تفسير هذه الآية: «المشركون يشاركون المؤمنين في زهرة الدنيا وهي خالصة يوم القيامة للمؤمنين دون المشركين[2].

توجيه القراءات:

يقول الأزهري في بيان دلالات القراءتين: «أمَّا القراءة خالِصَةٌ بالضم فهو على أنها خبر بعد خبر، كما تقول زَيْدٌ عاقل لبيب. والمعنى قُلْ هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصةٌ يوم القيامة. وأما خالصةً بالفتح نصب على الحال على أنَّ العامل في قوله في الحياة الدُّنيا في تأويل الحال، كأنك قلت قل هي ثابتةٌ للمؤمنين، مستقرةً في الحياة الدنيا، خالصةً يوم القيامة»[3].

وقال القرطبي في ذالك: «وقرأ الباقون بالنصب على الحال والقطع لأن الكلام قد تم دونه ولا يجوز الوقف على هذه القراءة على الدنيا لأن ما بعده متعلق بقول للذين آمنوا حال منه بتقدير قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة[4].

يقول ابن خلويه: «يقرأ بالرفع والنصب فالحجة لمن قرأه بالرفع أنه أراد قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة والحجة لمن نصب أنه لما تم الكلام دونها نصبها على الحال[5].

والقراءتان مقتربتان من حيث الدلالة والمعنى إلا أن الاختلاف يرجع أساسا

(1) الزمخشري - الكشاف - ج2 - ص97.
وينظر: الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن - ج8- ص164.
(2) جمال الدين السيوطي - الدر النثور - ج3 - ص447.
(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج7 - ص37.
(4) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج7: - ص199.
(5) ابن خلويه - الحجة في القراءات السبع - ص154.

في العلامة الإعرابية فحسب والتي لها أثرها الدلالي، وقد فضّل الطبري القراءة بالنصب لإيثار العرب النصب في الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة، وإن كان الرفع جائزا غير أن ذلك أكثر في كلامهم[1].

المسألة الثانية: في النصب والجر:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ **[المائدة: 6].**

القراءات الواردة:

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة (وأرجلِكم) خفضًا.

- وقرأ الأعشىٰ وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب الحضرمي والكسائي ونافع وابن عامر (وأرجلَكم) نصبًا، وهي قراءة ابن العباس[2].

أقوال المفسرين:

تنوعت مذاهب المفسرين في محاولة الكشف عن معنىٰ هذه الآية الكريمة، فمنهم من فسَّر ظاهر أوجه القراءات المتواترة الواردة فيها، ومنهم من حاول الكشف عن حقيقة الألفاظ المأمور بها مستشهدا بأقوال أئمة التفسير السابقين لعهده.

ومن ذلك قول الإمام الطبري في معنىٰ القراءة بالنصب: «اختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء الحجاز والعراق وأرجلكم إلىٰ الكعبين نصبا، فتأويله إذا قمتم إلىٰ الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلىٰ المرافق وأرجلكم إلىٰ الكعبين وامسحوا برءوسكم وإذا قرئ كذلك كان من المؤخر الذي معناه

(1) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج8- ص164.

(2) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج6- ص126.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج1 - ص509.
شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص198.

التقديم وتكون الأرجل منصوبة عطفا علىٰ الأيدي وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله جل ثناؤه إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها»[1].

أما فيما يخص القراءة بالخفض فإن الطبري يقول: «وقرأ ذلك آخرون من قرَّاء الحجاز والعراق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم بخفض الأرجل وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها وجعلوا الأرجل عطفا علىٰ الرأس فخفضوها لذلك»[2].

يفهم من قول الطبري هذا أن القراءة بالنصب معناها إذا قمتم إلىٰ الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلىٰ المرافق وأرجلكم إلىٰ الكعبين وامسحوا برءوسكم، فتكون الأرجل منصوبة عطفا علىٰ الأيدي. وأما قراءة الخفض فإن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها[3].

وذكر أبو حيان الأندلسي أن الجر معناه النصب علىٰ الحوار، قال: «وأرجلكم بالجر علىٰ أنه من الخفض علىٰ الجوار وأن أصله النصب فخفض عطفًا علىٰ الجوار»[4].

توجيه القراءات:

بين الأزهري دلالة القراءتين بقوله: «قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: 6] ... (وأرجلِكم) خفضًا والأعشىٰ عن أبي بكر بالنصب مثل حفص وقرأ يعقوب الحضرميّ والكسائيّ ونافع وابن عامر وَأَرْجُلَكُمْ نصبًا وهي قراءة ابن عباس يردُّه علىٰ قوله (فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ) وكان الشافعي يقرأ بالنصب»[5].

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج6- ص126.
(2) المصدر نفسه - ج6 - ص128.
(3) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج6 - ص128.
(4) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج1 - ص509.
(5) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص220.

الملاحظ من نص الأزهري السابق أن القراءة بالنصب عطفًا علىٰ وجوهكم وهىٰ تقتضىٰ غسل الأرجل، لعطفها علىٰ مغسول وهىٰ الوجوه، وأما قراءة وأرجِلكم بالجر عطفًا علىٰ رءوسكم وهذه القراءة تقتضىٰ مسح الأرجل، لعطفها علىٰ ممسوح وهو الرءوس. وفي ذلك إقرار لحكم المسح علىٰ الخفين. وذكر الأزهري في موضع آخر من معجمه أن القرآن نزل بالمسح والسُّنَّة بالغسْل[1].

وبذلك صارت القراءتان هنا بمنزلة الآيتين إحداهما أثبتت مشروعية غسل الرجلين وهي قراءة النصب، والأخرىٰ -وهي قراءة الخفض- أثبتت مشروعية المسح علىٰ الخفين.

(1) ينظر: الأزهري - تهذيب اللغة - ج4 - ص305.

المبحث الثاني

على مستوى اختلاف تصريف الأفعال

المطلب الأول

بين إسناد الضمائر

النموذج الأول:

الآيــة: قــال الــلــه جــل وعــز: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ **[الأنبياء: 80].**

القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالىٰ تحصنكم من حيث تنوع الإسناد إلىٰ الضمائر علىٰ ثلاثة أوجه بيَّنها أهل القراءات علىٰ النحو الآتي:

- قرأ ابن عامر وحفص وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وافقهم الحسن بالتاء علىٰ التأنيث والفاعل يعود علىٰ الصنعة أو اللبوس.

- وقرأ أبو بكر ورويس وشيبة بن نصاح بنون العظمة لمناسبة وعلمناه.

- وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وحمزة والكسائي والأعمش بالياء والفاعل يعود علىٰ الله تعالىٰ أو داود عليه السلام أو التعليم أو اللبوس[1].

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص552.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص322.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص393.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص40/ 41.

أقوال المفسرين:

لعلم أهل التفسير بما للقراءات القرآنية الكريمة من عميق أثر في الكشف عن معاني الآيات الكريمة فإنهم، لا يكادون يدعون آية تنوعت أوجه أدائها إلاّ حاولوا بيان معاني هذه الأوجه والجمع بينها. وهذا أمر جلي في أقوالهم. ومن ذلك ما أورده الإمام الطبري في تفسير هذه الآية حيث ذكر القراءات الثلاثة وبين معناها انطلاقا من أقول من سبقه من العلماء والصحابة ﷺ يقول الطبري: «واختلفت القراء في قراءة قوله لتحصنكم، فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار ليحصنكم، بالياء بمعنىٰ ليحصنكم اللّبوس من بأسكم، ذكروه لتذكير اللبوس، وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع لتحصنكم بالتاء بمعنىٰ لتحصنكم الصنعة فأنث لتأنيث الصنعة، وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النجود لنحصنكم بالنون بمعنىٰ لنحصنكم نحن من بأسكم»[1].

ويظهر ذلك أيضا فيما أورده الإمام القرطبي ﷺ الذي تابع الإمام الطبري في بعض أقواله حيث قال في تفسير هذه الآية: «قرأ الحسن وأبو جعفر وبن عامر وحفص وروح لتحصنكم بالتاء ردا علىٰ الصنعة، وقيل علىٰ اللبوس والمنعة التي هي الدروع وقرأ شيبة وأبو بكر والمفضل ورويس وبن أبي إسحاق لنحصنكم بالنون لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾، وقرأ الباقون بالياء جعلوا الفعل للبأس، أو يكون المعنىٰ ليحصنكم الله»[2].

الملاحظ من تفسير الطبري والقرطبي أن دلالات هذه القراءات كان علىٰ حسب تقدير الضمير الذي أسند إليه في الفعل؛ فبالتاء فردا علىٰ الصنعة، والياء ردّا علىٰ البأس والقراءة بالنون ضمير العظمة لله ﷻ.

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج24 - ص111.
وينظر: الزمخشري - الكشاف - ج1- ص532.

(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج11 - ص321.

توجيه القراءات:

قال الأزهري بعد استشهاده بالآية الكريمة: «فمن قرأ ليُحْصِنَكُم فالتذكير لِلَّبُوسِ، ومن قرأ لتُحْصِنَكُم ذهب إلىٰ الصّنْعَة، وإن شئْتَ جعلتَه للدِّرْع لأنها هي اللَّبُوس، وهي مُؤَنَّثَة، ومعنىٰ ليُحْصِنَكُم لِيَمْنَعكُم ويُحْرِزَكُم، ومن قرأ لنُحْصِنَكُم بالنون فمعناه لنُحصِنَكم نحن، والفِعْل لله ﷻ»[1].

ولعل ما ذكره الأزهري لم يخرج عما ذكره المفسرون في بيان معنىٰ تحصنون بقراءاتها المختلفة.

ولم يخرج ابن زنجلة كذلك عما ذكر الأزهري من المعاني: «قرأ ابن عامر وحفص لتحصنكم بالتاء أرادوا الدرع، والدرع تؤنث وتذكر، وقرأ أبو بكر لنحصنكم بالنون الله جل وعز يخبر عن نفسه وقرأ الباقون ليحصنكم بالياء أي ليحصنكم الله مثل النون ويجوز ليحصنكم هذا اللبوس»[2].

فالقراءات تظهر المعنىٰ مكتملا دون نقص، ولا تنفصل إحداهما عن الأخرىٰ؛ فهي تعتبر كآيات قرآنية، وقد جمع بينها الطبري رحمه الله بعدما رجح القراءة بالياء بقوله: «وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني؛ وذلك أن الصنعة هي اللبوس، واللبوس هي الصنعة والله هو المحصن به من البأس وهو المحصن بتصيير الله إياه كذلك»[3].

وبذلك تكون هذه الآية الكريمة بَيَّنَت معانيها قراءاتُها، وهذا الكشف عن المعنىٰ من كل جوانبه إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ كمال بيان القرآن الكريم الذي لا يدرك شأوه مخلوق.

---

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج4 - ص244.

(2) ابن زنجلة - حجة القراءات - ص469.

(3) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج17 - ص55.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: 35].

القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالىٰ يوقد من حيث تنوع الإسناد إلىٰ الضمائر علىٰ ثلاثة أوجه بيَّنها أهل القراءات علىٰ النحو الآتي:

- فنافع وابن عامر وحفص بياء مضمومة مع إسكان الواو وتخفيف الفاء ورفع الدال علىٰ التذكير مبنيا للمفعول من أوقد أي المصباح.

- وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بتاء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال علىٰ التأنيث مضارع أوقد مبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود زجاجة علىٰ حد أوقدت القنديل وافقهم الأعمش.

- وقرأ ابن محيصن والحسن بتاء مفتوحة وضم الدال وفتح الواو والقاف مشددة تَوَقَّدُ، والأصل تتوقد بتاءين حذفت إحداهما كتذكر والزجاجة القنديل والمصباح السراج والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل[1].

أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنىٰ هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنىٰ الآية الكريمة يعتمد علىٰ القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنىٰ توقد ويوقد باختلاف في الضمير المستتر؛ وفي ذلك يقول

(1) ينظر: ابن مجاهد- السبعة في القراءات - ص456.
والقرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج12 - ص262.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص324.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص271.

الإمام الطبري: «توقد من شجرة بالتاء، وكأنهم وجّهوا معنىٰ ذلك إلىٰ توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنىٰ يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله»[1].

ويظهر ذلك أيضا فيما أورده الإمام القرطبي الذي تابع الإمام الطبري في بعض أقواله حيث قال في تفسير هذه الآية: «وهاتان القراءتان متقاربتان -يُوقَدُ ويَوَقَّد- لأنهما جميعا للمصباح وهو أشبه بهذا الوصف لأنه هو الذي ينير ويضيء وإنما الزجاجة وعاء له، وتوقد فعل ماض من توقد يتوقد ويوقد فعل مستقبل من أوقد يوقد وقرأ نصر بن عاصم تَوَقَّدُ؛ والأصل علىٰ قراءته تتوقد حذف إحدىٰ التاءين لأن الأخرىٰ تدل عليها، وقرا الكوفيون توقد بالتاء يعنون الزجاجة»[2].

الملاحظ من تفسير الطبري والقرطبي أن دلالات هذه القراءات كان علىٰ حسب تقدير الضمير الذي أسند إليه في الفعل؛ فبالتاء للزجاجة، والياء ردّا علىٰ المصباح.

ولعل ما يوضح ذلك قول أبي حيان الأندلسي: تُوقد بضم التاء أي الزُّجَاجَةُ، مضارع أوقدت مبينًا للمفعول، ونافع وابن عامر وحفص كذلك إلاّ أنه بالياء أي الْمِصْبَاحُ»[3].

توجيه القراءات:

قال الأزهري بعد استشهاده بالآية الكريمة: «قرئ تَوَقّدُ وتُوقدُ ويُوقَدُ، قال الفراء مَن قرأ تَوقَّدَ ذَهب إلىٰ المصباح ومَن قرأ تُوقَد ذَهب إلىٰ الزُّجاجة وكذلك مَن قرأ تَوَقَّدُ، ومن قرأ يُوقَد بالياء ذهب إلىٰ المصباح»[4].

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج18 - ص141.
وينظر: الزمخشري - الكشاف - ج1- ص532.
الشنقيطي - أضواء البيان - ج1 - ص240.
(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج11 - ص321.
(3) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص450.
(4) الأزهري - تهذيب اللغة - ج7 - ص595.

والملاحظ أن الأزهري لم يخرج عما ذكره المفسرون في بيان معنىٰ القراءات الثلاثة، ففي القراءة بالياء فالضمير العائد علىٰ المصباح. والقراءة بالتاء عاد علىٰ الزجاجة، أما تَوَّقَدُ فأصلها تتوقد والفاعل يعود علىٰ الزجاجة. وفسّر ابن منظور القراءة بالياء علىٰ تذكير النور أو علىٰ الكوكب، أو المصباح، وفسّر توقد بالتاء عَلَىٰ معنىٰ النار لأنها توقد مِن شجرة[1]

ولم يخرج ابن زنجلة عما ذُكر من المعاني: «وفاعل توقد المصباح، ويكون المعنىٰ المصباح في زجاجة توقد المصباح، ويجوز أن يكون التوقد للكوكب؛ لأن الكوكب يوصف كثيرا بالتوقد لما يعرض فيها من الحركات التي تشبه توقد النيران ... ويوقد، مضمومة الياء والدال ومن قرأ هذا كمن قرأ توقد في أنه جعل فاعل يوقد المصباح أو الكوكب ... وتوقد بالتاء جعلوا الإيقاد للزجاجة لأنه جاء في سياق وصفها وقرب منها، فجعلوا الخبر عنها لقربها منه وبعده من المصباح»[2].

فالقراءات تظهر المعنىٰ جليا واضحا، ولا نفضل إحداها عن الأخرىٰ؛ فهي تعتبر كآيات قرآنية، بل أضفت علىٰ الآية نوعا من الجمال والإعجاز.

النموذج الثالث:

الآية قال الله جل وعز: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [هود: 5].

القراءات الواردة: تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالىٰ يثنون من حيث تنوع الإسناد إلىٰ الضمائر علىٰ وجهين بيَّنهما أهل القراءات علىٰ النحو الآتي:

- قرأ الجمهور يثنون بالياء.

(1) ينظر: ابن منظور - لسان العرب - ج5 - ص197.

(2) ابن زنجلة - حجة القراءات - ص500.

- قرأ ابن عباس قرأ ألا إنهم تَثْنَوْنِي صدورُهم بالتاء ورفع الراء من صدور[1].

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنىٰ هذه الآية طبقا للقراءات المتواجدة فيها؛ فالقرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «يثنون صدورهم أي يطوونها علىٰ عداوة المسلمين ففيه هذا الحذف قال بن عباس يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقىٰ رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي له بقلبه علىٰ ما يسوء»[2]. وفسّر الزمخشري يثنون بـ«يزورون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل علىٰ الشيء استقبله بصدره ومن أزور عنه وانحرف، ثنىٰ عنه صدره، وطوىٰ عنه كشحه»[3].

وبهذا فسّره الزمخشري في الكشاف معنىٰ يثنون، وهذا المعنىٰ معروف في كلام العرب فهم يعبرون باعوجاج الصدر عن العدول عن الشيء والميل عنه ويعبرون بإقامة الصدر عن القصد إلىٰ الشيء وعدم الميل عنه»[4].

توجيه القراءات:

قال الأزهري: «نزَلت في بعض مَن جاء يَلْقَىٰ النبيَّ ﷺ بما يُحب ويَنطوي له علىٰ العداوة والبُغض فذلك هو الثَّنْيُ الإِخفاء فيَثْنُونَ صُدورهم؛ أي يُكنون ويَطوون ما فيها ويسترونه استخفاء بذلك من الله ورُوي عن ابن عباس أنه قرأ **(ألا إنهم تثنَوْنِي صدورهم)** وهو في العربيّة بمنزلة تَثْنَنِي وهو من الفِعل افْعَوْعلت وأصله من ثَنَيْت الشَّيء إذا حَنَيْته وعَطَفته وطَوَيْته»[5].

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص56.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص324.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص271.

(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج9 - ص5.

(3) الزمخشري - الكشاف - ج1- ص532. وينظر: الشنقيطي - أضواء البيان - ج1 - ص240.

(4) الزمخشري - الكشاف - ج1- ص532.

(5) الأزهري - تهذيب اللغة - ج15 - ص97.

وخلاصة القراءتين أنه بالياء الضمير يرجع علىٰ هؤلاء الكفار المنافقين الذين أضمروا العداوة وأظهروا خلافها، وبالتاء قراءة ابن عباس الفاعل هو صدورهم.

النموذج الرابع:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 39].

القراءات الواردة: تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالىٰ ليربوا من حيث تنوع الإسناد إلىٰ الضمائر علىٰ وجهين بيَّنهما، هما:

- قرأ الجمهور ليربوَ بالياء مفتوحة الواو.
- وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب لتربوا بضم التاء ساكنة الواو[1].

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنىٰ هذه الآية طبقا للقراءات المتواجدة فيها؛ فهذا الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في تفسير هذه الآية: «يقول تعالىٰ ذكره وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه ممن أعطاه ذلك فلا يربو عند الله؛ يقول فلا يزداد ذلك عند الله لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه ... واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة ليربو بفتح الياء من يربو بمعنىٰ وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة لتربوا بالتاء من تربوا وضمها بمعنىٰ وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس»[2].

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص507.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج7 - ص174.
وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص348.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج7 - ص163.

(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج9 - ص5.

فقد فسّر الطبري ليربو بالزيادة والفاعل فيه المال. وأما القراءة بالتاء المضمومة فيكون الفاعل هو الضمير أنتم. ولم يخرج القرطبي عما ذكره الطبري، فقد قال: «ليربو بالياء وإسناد الفعل إلىٰ الربا، وقرأ نافع وحده بضم التاء والواو ساكنة علىٰ المخاطبة بمعنىٰ تكونوا ذوي زيادات»[1]. يزورون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل علىٰ الشيء استقبله بصدره ومن أزور عنه وانحرف، ثنىٰ عنه صدره، وطوىٰ عنه كشحه»[2].

توجيه القراءات:

قال الأزهري: «فمن قرأ لِتُربوا فالفِعل للقوم الذين خُوطبوا دلّ علىٰ نَصبها سُقوط النُّون، ومن قرأ لِيَرْبُوَ مَعناه لِيَربُو ما أعطَيْتم من شيء لتأخذوا أكثر منه فذلك، رُبُوّه وليس ذلك زاكيًا عند الله»[3].

والملاحظ أن الأزهري تابع المفسرين في بيان معنىٰ القراءات، فلتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو علىٰ الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، والقراءة بالياء وفتحها ونصب الواو جعلوا الفعل للربا.

ولعل ما ذكر صاحب الإتحاف يبرز كذلك دلالة كل قراءة بقوله: «بالتاء وضمها وسكون الواو علىٰ إسناده لضمير المخاطبين وهو مضارع أربىٰ معدىٰ بالهمزة فمضارعه مضموم حذفت منه نون الرفع لنصبه بأن مقدرة بعد لام كي ... والباقون بياء الغيب وفتحها وفتح الواو لإسناد الفعل إلىٰ ضمير يربو وهو مضارع ربا زاد فواوه لام الكلمة وفتحت علامة للنصب لأنها حرف الإعراب»[4].

---

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج14 - ص39.

(2) الزمخشري - الكشاف - ج1- ص532.
وينظر: الشنقيطي - أضواء البيان - ج1 - ص240.

(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج15 - ص272.

(4) شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص348.

ولعل ما أضافه الدمياطي في هذه القضية يزيد المعنىٰ وضوحا؛ حيث إنه ذكر الاختلاف في القراءتين يرجع إلىٰ اختلاف الفعل كذلك، فالقراءة بالتاء من الفعل أربىٰ والقراءة بالياء من الفعل الثلاثي ربا.

المطلب الثاني

بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول[1]

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ **[فصلت: 24].**

القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله يستعتبوا علىٰ وجهين، بينها أهل الاختصاص، وقد ذكرهما الأزهري في معجمه، وهما كما يلي:

- قرأ الجمهور يَسْتَعْتِبُوا بفتح الياء وكسر التاء الثانية علىٰ بناء الفعل للمعلوم

- وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية وإن يستعتبوا بفتح التاء الثانية وضم الياء علىٰ الفعل المجهول[2].

أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

---

(1) سأقوم بتحليل نموذجين فقط، وذلك لكثرة المسائل التي تطرق لها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: يلحَدون ويلحِدون البناء للمعلوم ولمجهول في قوله تعالىٰ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103]،
وسَقَطَ وسُقِط فس قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 149]،
وتوقَد وتوقِد في قوله تعالىٰ: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور: 35]،
وتُرىٰ وتَرىٰ بفتح التاء وضمها من قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: 20].

(2) ينظر: الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن – ج24 – ص110.
شهاب الدين الدمياطي – إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – ص460.
وعبد اللطيف الخطيب – معجم القراءات – ج8 – ص279.

أما بالنسبة للقراءة الأولىٰ فتكاد تجتمع أقوال المفسرون فيها، وسأقتصر علىٰ قول الطبري في معناها بقوله: «وإن يسألوا العتبىٰ وهي الرجعة لهم إلىٰ الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم فما هم من المعتبين يقول فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلىٰ الجنة فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب»[1].

وأما علىٰ قراءة من قرأ وَإِن يُسْتَعْتِبُواْ، بالبناء للمفعول، فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتِبِينَ بصيغة اسم الفاعل، فالمعنىٰ أنهم لو طُلِبَتْ منهم العتبىٰ وردوا إلىٰ الدّنيا ليعملوا بطاعة الله وطاعة رسله، فما هم من المعتبين؛ أي الراجعين إلىٰ ما يرضي ربهم، بل يرجعون إلىٰ كفرهم الذي كانوا عليه أولاً[2].

وهذه القراءة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ **[الأنعام: 28]**.

توجيه القراءات:

بّين الأزهري معنىٰ القراءتين، فأما القراءة بالبناء للمجهول فـ: «معناه إنْ أقالهم الله وردّهم إلىٰ الدنيا لم يُعتِبوا يقول لم يعملوا بطاعة الله لِمَا سبق لهم في علم الله من الشقاء»[3].

واستشهد بآية الأنعام الأنفة الذكر، ثم بيّن معنىٰ القراءة الثانية بقوله: «ومَن قرأ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فمعناه إن يستقيلوا ربهم لم يُقِلْهُم»[4]. ومعنىٰ العتاب قبول الصلح، ومنه قول النابغة[5]:

(1) الأزهري – تهذيب اللغة ج2– ص277. الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن – ج24 – ص111.
وينظر: أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج7 – ص173.
الزمخشري – الكشاف – ج3 – ص494.
الشنقيطي – أضواء البيان – ج2 – ص432.
(2) ينظر: الشنقيطي – أضواء البيان – ج2 – ص423.
(3) الأزهري – تهذيب اللغة ج2 – ص277.
(4) المصدر السابق الجزء والصفحة.
(5) النابغة الذبياني – الديوان – مصر – القاهرة – مطبعة الجمابية – ط1 – 1328هـ/ 1910م – ص75.

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبىٰ فمثلك يعتب

أي مثلك من قبل الصلح والمراجعة.

لم يخرج الأزهري في بيان معنىٰ كل قراءة عما ذكره المفسرون، فأما القراءة بالبناء للمعلوم فمعناها فإن يَستعتِبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلىٰ إزالته، وأما القراءة للبناء للمجهول فإن طُلِبَ منهم ذلك لم يفعلوا.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: 25].

القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله أحصن علىٰ وجهين، بينها أهل الاختصاص، وقد ذكرهما الأزهري في معجمه، وهما كما يلي:

- قرأ ابن عباس ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم أُحْصِنَّ مبنيًا للمجهول أحْصَنَّ بفتح الألف وفتح الصاد مبنيا للمعلوم.

- وقرأ ابن مسعود وعاصم وحمزة والكسائي أَحْصَنَّ بفتح الألف وفتح الصاد مبنيا للمعلوم[1].

أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

(1) ينظر: ابن مجاهد- السبعة في القراءات - ص321.
الأزهري - تهذيب اللغة - ج4 - ص245.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج3 - ص224.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص189.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج2 - ص32.

فالطبري مثلا ذكر المعنيين: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم فإذا أحصن بفتح الألف بمعنىٰ إذا أسلمن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالإسلام وقرأه آخرون فإذا أحصن بمعنىٰ فإذا تزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالزواج»[1].

فعلىٰ القراءة الأولىٰ، كما قال الطبري، فمعنىٰ أُحصِن أسلمن، ومعنىٰ أَحصَن بالبناء للمعلوم تزوجن، وذهب أبو حيان الأندلسي إلىٰ أن القراءتين بمعنىٰ واحد[2].

توجيه القراءات:

قال الأزهري: «فإن ابن مسعود قرأ فإذا أَحْصَنَّ وقال إحْصَانُ الأَمَةِ إسْلامُها وكان ابن عباس يقرؤها فَإِذَا أُحْصِنَّ علىٰ ما لم يُسَمّ فاعله ويفسره فإذا أُحْصِنّ بِزَوْج»[3].

والملاحظ أن الأزهري لم يخرج عما ذكره المفسرون في بيان معنىٰ أحصن للمعلوم وللمجهول.

وجمع بين المعنيين ابن زنجلة في حجة القراءات بقوله: «الزوجُ يحصن المرأةَ والإسلامُ وكذلك، فإذا أحصن أي أحصنهن الأزواج والإسلام ... فتأويل المحصنات أزواجهن أعفوهن أو إسلامهن أحصنهن فهن محصنات بذلك[4].

وذكر شهاب الدين الدمياطي في الإتحاف أن معنىٰ أَحصَن، بفتح الهمزة والصاد، مبنيا للفاعل أي أَحصَن فروجهن وأزواجهن، وأُحصِن، بضم الهمزة وكسر

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج24 - ص111.
وينظر: الزمخشري - الكشاف - ج1- ص532.
(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج3 - ص115.
(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج4 - ص245.
(4) ابن زنجلة - حجة القراءات - ص197.

الصاد، علىٰ البناء للمفعول علىٰ أن المحصن لهن الزوج[1]. فالقراءتان علىٰ ما ذكر الدمياطي بمعنىٰ واحد، علىٰ خلاف ما ذكره الأزهري والمفسرون.

(1) ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص189.

المطلب الثالث

الاختلاف بين الماضي والأمر

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: **19**].

القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله باعد من حيث إسناد الفعل إلىٰ الماضي والأمر علىٰ وجوه، بيّنها أهل الاختصاص، وقد ذكرها الأزهري في معجمه، وهي كما يلي:

- قرأ نافع وعاصم والكسائي وحمزة وابن عامر باعِد بالألف وكسر العين علىٰ الدُعَاء.

- قرأ أبو عمرو وابن كثير بَعِّدْ بغير ألفٍ.

- وقرأ يعقوب الحضرميّ رَبُّنَا باعَدَ بالفتح علىٰ الخبر.

- وقرأ يحيي بن يعمر وعيسي بن عمر وتروىٰ عن ابن عباس رَبُنا بَعَّدَ بين أسفارنا علىٰ الخبر[1].

- وقرأ سعيد بن أبي الحسن وهو أخو الحسن البصري فقالوا رّبَّنَا بَعُدَ بَيْنُ أسفارِنا وبينَ أسفارنا ببناء المجهول وضم النون وفتحها[2].

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات- ص529.
الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج22 - ص58.
وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص460.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج7 - ص360.

(2) هذه القراءة لم يذكرها المفسرون وبين معناها الأزهري بقوله: «فالمعنىٰ بَعُدَ ما يتصل بسفرنا ومن =

أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

أما القراءتين الأوليتين فقد ذكر العلماء أنهما بمعنىٰ واحد، يقول الطبري في معنييهما: «لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا علىٰ العافية تمنوا طول الأسفار والكدح في المعيشة ... وباعَد وبعَّد واحد في المعنىٰ»[1].

ووافقه علىٰ هذا المعنىٰ بهذه القراءة الزمخشري: «علىٰ الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوىٰ»[2].

وأما القراءتين الثانية والثالثة فهي كذلك بمعنىٰ واحد وهو إخبار منهم عما حصل لهم، يقول القرطبي: «باعد بفتح العين والدال علىٰ الخبر، تقديره لقد باعد ربنا بين أسفارنا، كأن الله تعالىٰ يقول قربنا لهم أسفارهم فقالوا أشرا وبطرا لقد بوعدت علينا أسفارنا، واختار هذه القراءة أبو حاتم قال لأنهم ما طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك القرب بطرا وعجبا مع كفرهم»[3].

واختار الطبري القراءتين الأوليتين لأنهما القراءتان المعروفتان في قراءة الأمصار، وما عداهما فغير معروف فيهم علىٰ أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه علىٰ وجه الدعاء والمسألة[4].

= قرأ بَعُدَ بَيْنَ أسفارنا فالمعنىٰ بَعُدَ ما بين أسفارنا وبَعُدَ سَيْرنا بين أسفارنا» الأزهري - تهذيب اللغة - ج2 - ص246.

(1) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج14 - ص290.

(2) الزمخشري - الكشاف - ج3 - ص587.

(3) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج14 - ص291.

(4) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج22 - ص75.

توجيه القراءات:

يقول الأزهري: «رَبُّنَا باعَدَ بالنصب علىٰ الخبر وقرأ نافع وعاصم والكسائي وحمزة باعِد بالألف علىٰ الدُعَاء»[1].

لم يخرج الأزهري في بيان معنىٰ كل قراءة عما ذكره المفسرون، فأما القراءة بفتح الباء وفتح العين ربَّنا باعَد، فعلىٰ الدعاء؛ أي أنهم دعوا ربهم بالتبعيد، وعلىٰ القراءة بالضم الباء الإخبار بأن الله باعد بينهم.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ **[سورة ق: 36].**

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (فنقبوا) من حيث زيادة إسناد الفعل بين الماضي والأمر علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور فَنَقَّبُوا بفتح القاف علىٰ الخبر.

- وقرأ أبو عمرو وقنبل وابن ذكوان ويعقوب ويحي بن يعمر والحسن فنقِّبوا بكسر القاف أمرا لأهل مكة بذلك[2].

أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج2 - ص246.

(2) ينظر: ابن مجاهد - ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص607.
وأبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج8 - ص129.
وابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص225.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص398.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج9 - ص114/ 115.

معاني القراءات الكريمة الواردة فيها حيث قال: «وقرأت القراء قوله فنقَّبوا بالتشديد وفتح القاف، علىٰ وجه الخبر عنهم، وذكر عن يحيي بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك فنقبوا بكسر القاف علىٰ وجه التهديد والوعيد أي طوفوا في البلاد وترددوا فيها فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم»[1].

وذكر الزمخشري المعنىٰ نفسه حين فسر الآية بقوله[2]: «التنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب ... فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصًا حتىٰ يؤملوا مثله لأنفسهم والدليل علىٰ صحته قراءة من قرأ (فَنَقّبُوا) علىٰ الأمر كقوله تعالىٰ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: 2]».

يظهر من تفسير الطبري والزمخشري للآية أن القراءة بفتح القاف علىٰ الخبر أي أن الله أخبر نبيه عن بحث أهل مكة وطلبهم، والقراءة الثانية أمر علىٰ وجه التهديد.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قرأ القُرّاء (فنقَّبوا) مشددًا يقول خَرَقوا البلادَ فساروا فيها فهل كان لهم مَحيصٌ من الموت، ومن قرأ (فنَقِّبُوا) بكسر القاف فإنه كالوعيد أي اذهبوا في البلاد وجيئوا»[3].

وذكر العكبري أن معناهما مختلف ولم يفصح عن هذا الاختلاف، يقول: «فنقبوا وفيها قراءات ظاهرة المعنىٰ»[4].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة علىٰ وجه من القراءة دون

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج26 - ص176.
(2) الزمخشري - الكشاف - ج4 - ص394.
(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج9 - ص179.
(4) العكبري - إملاء من به الرحمن - ص242.

غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولىٰ (فنقَّبُوا) علىٰ أن الله ﷻ أخبر أن أهل مكة نقبوا في البلاد وبحثوا، ودلت القراءة الثانية (فنقِّبوا) علىٰ أن الله ﷻ هدّد أهل مكة وحذرهم، من مغبة تكذيبهم وكفرهم.

الخامسة

على مستوى الزيادة والنقصان

- زيادة الهمزة.
- زيادة الألف.
- الزيادة بالتضعيف.
- زيادة النون.

المبحث الثالث

على مستوى الزيادة والنقصان

المطلب الأول

زيادة الهمزة[1]

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: 71].

القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ من حيث زيادة الهمزة علىٰ وجهين وهذا ما أظهره أهل هذا الشأن كما يلي:

قرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ونافع فأجمعوا كيدكم بهمز الألف وكسر الميم.

وقرأ الزهري والأعمش ويعقوب بألف الوصل[2].

---

(1) سأقوم بتحليل بعض النماذج فقط، وذلك لكثرة الشواهد التي استعملها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها:

سال، وسأل بالهمز في قوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: 1].

ويَخْسِرُون، ويُخْسِرُون من خسر، وأخسر في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3].

وريا ورئيا بزيادة الهمزة في قوله تعالىٰ: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: 74].

ومتكا ومتكئا بزيادة الهمزة في قوله تعالىٰ: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: 31].

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج5 - ص179.

وابن خلويه - الحجة في القراءات - ص182. =

أقوال المفسرين:

تنوعت مذاهب المفسرين في محاولة الكشف عن معنىٰ هذه الآية الكريم بقراءاتها المختلفة:

فمعنىٰ القراءة الأولىٰ فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله من صنم ووثن وأجمعوا وأعدوا أمركم واعزموا عما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارًا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من عصمته إياه وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً، يقول الطبري في هذه الآية: «فأجمعوا أمركم يقول فأعدوا أمركم واعزموا علىٰ ما تقدمون عليه في أمري يقال منه أجمعت علىٰ كذا بمعنىٰ عزمت عليه»[1].

وأما القراءة الثانية (فاجمِعوا) بهمزة الوصل من الجمع أي اجمعوا كل كيد لكم وكل حيلة، فلا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به[2].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال: «قوله جلّ وعزّ: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ [يونس: 71]. قال الإجماع الإحكام والعزيمة علىٰ الشيء تقول أجمعتُ الخروجَ وأجمعتُ علىٰ الخروج، ومن قرأ فاجمعوا كيدكم فمعناه لا تدَعوا من كيدكم شيئًا إلا جئتم به»[3].

فالقراءة بهمزة القطع وكسر الميم من أجمع أمره إذا أحكم وعزم عليه، من الفعل الرباعي أجمع، والإجماع علىٰ حسب قول الأزهري، معناها الإعداد

= وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص316.

ابن جني - المحتسب - ج1 - ص214.

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج11 - ص142.

(2) ينظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج 8: - ص362.

(3) الأزهري - تهذيب الغة - ج1 - ص140.

والعزيمة. والقراءة بهمزة وصل من الفعل الثلاثي جمع، أي ضَمّ الشّيْءَ بتَقريبِ بعضه مِن بَعْضٍ، والأمر منه اجمَع واجمعوا في الجمع[1].

وقد استشهد الأزهري علىٰ صحة دلالة القراءة الأولىٰ بقول الشاعر:

يا ليت شعري والمُنىٰ لا تنفعُ هل أغدُوَنْ يومًا وأمري مُجمَعُ[2]

والملاحظ أن هناك تقاربا بين المعنىٰ التفسيري للآية الكريمة وبين المعنىٰ اللغوي، الذي أتىٰ به الأزهري؛ وذلك أن من أجمع علىٰ أمر وعزم عليه لا بد أن يجمع شتاته وأموره، فلا تضاد بين القراءتين.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ **[الحديد: 13].**

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في ﴿انظُرُونَا﴾ من حيث زيادة الهمزة، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور غير حمزة ﴿انظُرُونَا﴾ موصولة الألف مضمومة الظاء.

- قرأ زيد بن علي وابن وثاب والأعمش وطلحة وحمزة والمطوعي﴿أنظِرُونَا﴾ بقطع الهمزة وكسر الظاء[3].

(1) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص379.
والأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص140.

(2) ينظر: الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص253.

(3) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص625/ 626.
وابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص384.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص420.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج9 ص334.

أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنىٰ هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنىٰ الآية الكريمة يعتمد علىٰ القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنىٰ انظرونا وأنظرونا، وفي ذلك يقول الإمام الطبري: «انظرونا موصولة بمعنىٰ انتظرونا وقرأته عامة قراء الكوفة أنظرونا مقطوعة الألف من أنظرت بمعنىٰ أخرونا وذكر الفراء أن العرب تقول أنظرني وهم يريدون انتظرني قليلاً»[1].

وقد قرئ أنظرونا بقطع الألف، فمن قرأ ذلك كذلك أراد أخّرنا كما قال الله جل ثناؤه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: 36] أي أخرني ... وقراءة من وصل الألف من قوله انظرنا ولم يقطعها بمعنىٰ انتظرنا»[2].

وزاد الزمخشري الآية وضوحا عندما قال: «انظُرُونَا انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلىٰ الجنة كالبروق الخاطفة علىٰ ركاب تزف بهم، وهؤلاء مشاة، وانظروا إلينا، لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ ﴿أنظرونا﴾ من النظرة وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلىٰ أن يلحقوا بهم أنظارًا»[3].

ولم يخرج القرطبي علىٰ تلك الدلالة التفسيرية للآية حيث قال: «قراءة العامة بوصل الألف مضمومة الظاء من نظر، والنظر الانتظار أي انتظرونا، وقرأ الأعمش وحمزة ويحيي بن وثاب (أنظرونا) بقطع الألف وكسر الظاء من الإنظار أي أمهلونا وأخرونا»[4].

يظهر من تفسير الطبري الكشاف والقرطبي للآية أن القراءات القرآنية أضفت

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج27 - ص129

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج27 - ص129.

(3) الكشاف - الزمخشري - ج4 - ص473/ 474.

(4) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج17 - ص225.

علىٰ الآية نوعا من الشرح والتبيين فيما يخص زيادة الهمز لأن الفعل فيهما مختلف فاختلف المعنىٰ تبعا لذلك.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، فال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: 13]. قرئ (انظرونا) و(أنظرونا) بقطع الألف فمن قرأ انظُرونا، بضم الألف، فمعناه انْتظِرونا، ومن قرأ (أَنظِرونا) فمعناه أَخِّرُونا»[1].

والملاحظ أن هناك تجاوبا بين ما ذكره الأزهري وما ذكره المفسرون، فالقراءة بوصل الألف من قوله انظرنا من الفعل نظر الثلاثي، وأما القراءة بالهمز في من الفعل الرباعي أنظر بمعنىٰ أمهل، وأخّر، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: 36] أي أخرني ... وقراءة من وصل الألف من قوله انظرنا ولم يقطعها بمعنىٰ انتظرنا»[2].

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

أَبا هِندٍ فلا تَعجَل عَلَينا وَأَنظِرنا نُخَبِّركَ اليَقينا[3]

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج14 - ص369.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج27 - ص129.

(3) أبو عبد لله الحسين بن احمد الزوزنىٰ - شرح المعلقات السبع - تحقيق: لجنه التحقيق في الدار العالمية - دار العالمية - د. ط - 1993م - ص117.
أحمد الأمين الشنقيطي - المعلقات العشر وأخبار شعرائها - دار النصر للطباعة والنشر - ط1 - د. ت - ص111.

المطلب الثاني

زيادة الألف[1]

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **[الفاتحة: 40].**

القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالىٰ: (مالك) من حيث زيادة الألف علىٰ وجهين، وقد ذكرهما الأزهري، وهذا ما أظهره أهل هذا الشأن كما يلي:

قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة مَلِك يَوْمِ الدِّينِ بدون ألف.

وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بألفٍ[2].

وقد ذكر الأزهري قراءة ثالثة عن عبد الوارث عن أبي عمرو: ﴿مَلْكِ يَوم الدِّينِ﴾ بفتح وتسكين[3].

أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ أوجه القراءة الواردة فيها، وبيان أيها أمدح في حق الله ﷻ، ويظهر ذلك

---

(1) سأقوم بتحليل بعض النماذج فقط، وذلك لكثرة الشواهد التي استعملها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها:

حذرون وحاذرون في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56].

ونخرة وناخرة، في قوله تعالىٰ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةً﴾ [النازعة: 11].

وخلفك وخلافك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: 76].

وفكهين وفاكهين في قوله تعالىٰ: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [الطور: 18].

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج1 - ص20.

وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص122.

(3) ينظر: الأزهري - ج10 - ص268.

جليا في أقوالهم؛ فها هو الطبري يقول: «أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغرة الأذلة وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء، فأخبر تعالىٰ أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلىٰ ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلىٰ خسار»[1].

وأما قراءة من (ملك يوم الدين) بمعنىٰ المُلك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجابا لانفراده بالمِلك، وفضيلة زيادة الملك علىٰ المالك، أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا[2].

ثم رجح القراءة بدون ألف، وقال: «وأولىٰ التأويلين بالآية وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ ملك بمعنىٰ المُلك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجابا لانفراده بالمِلك، وفضيلة زيادة الملك علىٰ المالك إذ كان معلوما أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكًا»[3].

وحاول بعض أهل التفسير الجمع بين القراءتين، نحو ما فعل الشوكاني حيث يقول: «اختلف العلماء أيّهما أبلغ ... والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر؛ فالمالك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلىٰ تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فالمالك أقوىٰ من الملك في بعض الأمور والملك أقوىٰ من المالك في بعض الأمور والفرق بين الوصفين بالنسبة إلىٰ الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله»[4].

---

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج1 - ص65.

(2) المصدر نفسه الجزء والصفحة.

(3) المصدر نفسه - الجزء والصفحة.

(4) محمد علي الشوكاني - فتح القدير - ج1- ص22.

توجيه القراءات:

حجّة من قرأ مالك قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [**آل عمران: 26**] ولم يقل ملك الملك. ومالك أمدح من ملك لأنه يجمع الاسم والفعل، ومَلِك تَجْمَع مَالِكا ومَالِك لا يَجَّمَع ملكا؛ إذ كل من يملك فهو مالك لأنه بتأويل الفعل مالك الدراهم، ومالك الثوب، ومالك يوم الدين يملك إقامة يوم الدين[1].

وحجة من قرأ ملك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [**الناس: 2**]، وقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [**الحشر: 23**]. فعلىٰ هذه الآية والتي قبلها قاس العلماء القراءة بدون ألف[2].

وحقيقة الأمر إن المعنىٰ القرآني لا يكتمل إلاَّ بالجمع بين القراءتين ولبيان ذلك أقول؛ فمعلوم مما تقدم أن المَلِك هو الحاكم النافِذُ أمرُه والذي له الأمر المطلق دون غيره، وأن المَالِك هو الذي ترجع له مِلكِيَّة الأعيان، ويكون له حق التصرف فيها. وهذا الأمر هو لله ﷻ في الدارين علىٰ الحقيقة، وهو سبحانه مالك كل شيء يستخلف في مِلكه من يشاء من عباده.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله في سورة: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [**الحج: 51**].

القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالىٰ معاجزين من حيث زيادة الألف علىٰ وجهين، وهذا ما أظهره أهل هذا الشأن: فقرأ ابن كثير وأبو عمرو

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج10 - ص268

(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج10 - ص268.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص379.
ابن خالويه -الحجة في القراءات - ص62.
وأبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة - حجة القراءات - ص97/ 98.
وينظر: شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص122.

والجحدري، وابن محيصن معجزين بغير ألف. وقرأ عاصم ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي معاجزين بالألف[1].

أقوال المفسرين:

تنوعت مذاهب المفسرين في محاولة الكشف عن معنىٰ هذه الآية الكريم فمنهم من فسر معاجزين بمغالبين أو مشاقين، أو معاندين، أو مثبطين عن الإسلام وكل هذه الأقوال لا تخرج عن مقصد الآية الكريمة، قال الطبري في معنىٰ الآية: «مشاقين وقال آخرون بل معنىٰ ذلك أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم»[2].

وقال الشنقيطي في ذلك: «واعلم أن في هذا الحرف قراءتين سبعيتين قرأه الجمهور معاجزين بألف بين العين والجيم بصيغة المفاعلة اسم فاعل عاجزه وقرأه ابن كثير وأبو عمرو معجزين بلا ألف مع تشديد الجيم المكسورة علىٰ صيغة اسم الفاعل من عجزه»[3].

ولم يخرج السيوطي عما ذكره سابقيه من المفسرين، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذين سعوا في آياتنا القرآن بإبطالها معجزين من اتبع النبي؛ أي ينسبونهم إلىٰ العجز، ويثبطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث»[4].

توجيه القراءات:

قال الأزهري عن القراءة الأولىٰ بالألف: «تفسيره معاندين وقال بعضهم مسابقين وهو قول الزجاج، ومن قرأ معجِّزين فالمعنىٰ مثبِّطين عن الإيمان بها

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص439.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج17 - ص185.
وينظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج 12 - ص78.

(3) الشنقيطي - أضواء البيان - ج5 - ص282.

(4) السيوطي - تفسير الجلالين - ج1 - ص440

من العجز وهو نقيض الحَزْم»[1]. فهو يذكر أن القراءة بالألف معناها معاندين أو معناها مسابقين، وقراءة من قرأ معجِّزين فالمعنىٰ مثبِّطين عن الإيمان بها من العجز وهو نقيض الحَزْم.

فالقراءة بغير الألف أي ينسبون من تبع النبي صلىٰ الله عليه إلىٰ العجز وهذا كقولهم جهلته نسبته إلىٰ الجهل وفسقته نسبته إلىٰ الفسق، ومن قرأ معاجزين بالألف؛ أي ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار[2].

والملاحظ أن هناك تجاوبا بين المعنىٰ التفسيري للآية وبين المعنىٰ اللغوي، إلا أن الثانية وضّحت الأولىٰ وشرحتها، والقراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنىٰ وذلك أن من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره.

النموذج الثالث:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ **[البقرة: 51].**

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدْنَا﴾ من حيث زيادة الألف علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ ابن كثير ووابن عامر وحمزة ونافع والكسائي واعدنا بالألف.
- وقرأ أبو عمرو وابن محيصن ويعقوب وعدنا دون ألف[3].

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج1 - ص140.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص379.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص316.

(3) ينظر: ابن مجاهد - ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص155.
وابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص212.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص69.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج1 - ص98.

أقوال المفسرين:

أورد الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان معاني القراءات الواردة فيها: «قرأ بعضهم (واعدنا) بمعنىٰ أن الله تعالىٰ واعد موسىٰ ملاقاة الطور لمناجاته، فكانت المواعدة من الله لموسىٰ ومن موسىٰ لربه، ... وقرأ بعضهم (وعدنا) بمعنىٰ أن الله الواعد موسىٰ والمنفرد بالوعد دونه، وكان من حجتهم في اختيارهم ذلك أن قالوا إنما تكون المواعدة بين البشر، فأما الله جل ثناؤه فإنه المنفرد بالوعد والوعيد في كل خير وشر»[1]. وذكر البغوي أن واعدنا من «المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم عافاك الله وعاقبت اللص، وطارقت النعل، ثم نقل قول الزجاج ومفاده أنه كان من الله الأمر ومن موسىٰ القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة، وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة وإذ وعدنا من الوعد»[2].

ولم يخرج أبو حيان الأندلسي علىٰ هذا المعنىٰ إلا أنه جعل القراءتين بمعنىٰ واحد، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل واعدنا أن يكون بمعنىٰ وعدنا ويكون صدَر من واحد، ويحتمل أن يكون من اثنين علىٰ أصل المفاعلة، فيكون الله قد وعد موسىٰ الوحي، ويكون موسىٰ وعد الله المجيء للميقات، أو يكون الوعد من الله وقبوله كان من موسىٰ، وقبول الوعد يشبه الوعد»[3].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال: «قرأ أبو عمرو (وعدنا) بغير ألف وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ واعدنا بالألف وقال أبو مُعَاذ النحويّ واعدتَ زيدًا إذا وعدك ووعدته ووعدت زيدًا إذا كان الوعد منك خاصّة»[4].

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج1 - ص221.
(2) البغوي - تفسير البغوي - ج22 - ص75.
(3) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج1 - ص356.
(4) الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 - ص74.

ولعل ما ذكره ابن زنجلة في دلالة القراءتين وافق المفسرين واللغويين بقوله: «قرأ أبو عمرو (وعدنا موسىٰ) بغير ألف ... وحجته أن المواعدة إنما تكون بين الآدميين وأما الله جل وعز فإنه المنفرد بالوعد والوعيد.

ويقوي هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22] وقرأ الباقون وإذ واعدنا بالألف وحجتهم أن المواعدة كانت من الله ومن موسىٰ، فكانت من الله أنه واعد موسىٰ لقاءه علىٰ الطور ليكلمه ويكرمه بمناجاته، وواعد موسىٰ ربه المصير إلىٰ الطور لما أمره به، ويجوز أن يكون المعنىٰ علىٰ إسناد الوعد إلىٰ الله نظير ما تقول طارقت نعلي وسافرت والفعل من واحد علىٰ ما تكلمت به العرب»[1].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة علىٰ وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولىٰ (وعدنا) علىٰ أن الله ﷻ صاحب الأمر المطلق وهو الآمر وحده، وهو الذي أكرم سيدنا موسىٰ بهذا الوعد. ودلّت القراءة الثانية (واعدنا) علىٰ أن الله ﷻ هو صاحب الوعد، وقد أكرم سيدنا موسىٰ عليه السلام بأن أشركه في المواعدة التي هي من جانبه امتثال لأمر الله ﷻ، ومن هذا الوجه تكون هذه الآية الكريمة ظاهرة في الثناء علىٰ سيدنا موسىٰ عليه السلام بأنه استجاب وامتثل لأمر الله ﷻ في كل ما أمره به.

ويمكن القول أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت بهما القراء وليس في القراءة بإحداهما إبطال معنىٰ الأخرىٰ، وإن كان في إحداهما زيادة معنىٰ علىٰ الأخرىٰ من جهة الظاهر والتلاوة، فأما من جهة المفهوم بهما فهما متفقتان؛ وذلك أن من أخبر عن شخص أنه وعد غيره اللقاء بموضع من المواضع، فمعلوم أن الموعود ذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان مثل الذي وعده من ذلك صاحبه»[2].

(1) ابن زنجلة - حجة القراءات - ص96.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج1 - ص221.

ويمكن الاستخلاص أن معنىٰ واعد بالألف يحتمل معنيين؛ الأول دلالة المشاركة بينهما والمفاعلة، والثاني معنىٰ وعد، ومعنىٰ وعد، الوعد من الله، أي لا دلالة للمشاركة في هذا المعنىٰ.

المطلب الثالث

الزيادة بالتضعيف[1]

النموذج الأول:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: 37].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله كفلها، من حيث التخفيف والتضعيف علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي وكذا خلف وافقهم الأعمش كفَّلها بتشديد الفاء.

- وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب واليزيدي وابن محيصن كفلها بتخفيف الفاء[2].

---

(1) سأقتصر بتحليل بعض النماذج فقط، وذلك لكثرة الشواهد التي استعملها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها:
فرضناها وفرَّضناها بالتشديد في قوله تعالىٰ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: 1].
والتناد والتنادّ بالتشديد في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: 32، 33].
وأمَرْنَا وأَمَّرْنَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: 16].
وإيَابهم وإيَّابهم بالتشديد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25].
وعرف وعرّفَ بالتشديد في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: 3].

(2) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص204.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص173.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج1 - ص482.

أقوال المفسرين:

أتىٰ المفسرون بمعنىٰ كل قراءة حوتها الآية؛ فبتشديد الفاء ونصب زكريّا علىٰ المفعولية أي جعله كافلا لها وذلك أنها كانت أنها كانت يتيمة.

قال الطبري: «اختلفت القراء في قراءة قوله وكفلها فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة وكفلها مخففة الفاء بمعنىٰ ضمها زكريا إليه اعتبارا بقول الله ﷻ: **يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وكفلها زكريا بمعنىٰ وكفلها الله زكريا**[1].

ولم يخرج القرطبي علىٰ ذلك بل ذكر قصة تبين المعنىٰ والدلالة، مفادها أنه: «حملت امرأة عمران بعد ما أسنت فنذرت ما في بطنها محررا، فقال لها عمران ويحك ما صنعت أرأيت إن كانت أنثىٰ، فاغتما لذلك جميعا فهلك عمران وحنة حامل فولدت أنثىٰ فتقبلها الله بقبول حسن وكان لا يحرّر إلاّ الغلمان، فتساهم عليها الأحبار بالأقلام التي يكتبون بها الوحي علىٰ ما يأتي فكفلها زكريا وأخذ لها موضعًا»[2].

وذكر ابن كثير أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب فكفل زكريّا مريم لذلك[3].

توجيه القراءات:

لم يختلف المفسرون في هذه الآية عنىٰ المعنىٰ اللغوي الذي أتىٰ به الأزهري الذي قال: «أي وكفَّلَها الله أي ضمَّنه إياها حتىٰ تكفل بحضانتها، ومن قرأ وكفَلَها زكريّاءُ؛ فالفعل لزكريّاء أي ضمن القيام بأمرها»[4]. ولا منافاة بين القولين

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج3- ص242.
(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج4 - ص70.
(3) ينظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج1 - ص361.
(4) ينظر الأزهري - تهذيب اللغة - ج10 - ص235.

في القراءتين، والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علمًا جمًا نافعًا وعملاً صالحًا[1]. فإنما ضمها زكريا إلىٰ نفسه بضم الله إياها إليه.

وذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن القراءتين متداخلتان لأن الله تعالىٰ إذا كفلها زكريّا كفلها بأمر الله ولآن زكريّا إذا كفلها فعن مشيئة الله وقدرته[2].

والخلاصة أن كفَّلها بالتشديد يتعدىٰ إلىٰ مفعولين والتقدير وكفلها ربُها زكريّا أي ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسره له. وأما كفلها، بالتخفيف علىٰ إسناد الفعل إلىٰ زكريّا.

النموذج الثاني:

الآية: قال الله جل وعز: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [**الانفطار**: 7].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ من حيث التشديد أو التضعيف، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الذي سأبينه:

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وافقهم الحسن والأعمش بتخفيف الدال.
- وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بتشديد الدال[3].

أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنىٰ هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنىٰ الآية الكريمة يعتمد علىٰ القراءات الواردة فيها

(1) ينظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج1 - ص361.

(2) ينظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج4 - ص70.

(3) ينظر: ابن مجاهد - ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص674.
الأزهري - تهذيب اللغة - ج2. ص211.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص434.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج10 - ص336/ 337.

راحوا يفسرون معنىٰ عدل بالتخفيف والتشديد، وفي ذلك يقول الإمام الطبري: «وكأن من قرأ ذلك بالتشديد وجّه معنىٰ الكلام إلىٰ أنه جعلك معتدلا معدل الخلق مقوما، وكأن الذين قرؤوه بالتخفيف وجهوا معنىٰ الكلام إلىٰ صرفك وأمالك إلىٰ أي صورة شاء؛ إما إلىٰ صورة حسنة وإما إلىٰ صورة قبيحة أو إلىٰ صورة بعض قراباته»[1].

يفهم من قول الطبري أن معنىٰ التشديد عدّلك ركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات وألطف السمات، ومتناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطول من الأخرىٰ. ومعنىٰ القراءة بالتخفيف. الإمالة أي فصرفك وأمالك إلىٰ أي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا.

ولم يخرج أبو حيان الأندلسي علىٰ هذا المعنىٰ إلا أنه زاد أن القراءة بالتخفيف لها معنىٰ التشديد فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقراءة التخفيف إما أن تكون كقراءة التشديد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتىٰ اعتدلت وإما أن يكون معناه فصرفك يقال عدله عن الطريق أي عدلك عن خلقة غيرك إلىٰ خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك إلىٰ بعض الأشكال والهيئات والظاهر»[2].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال، ونقل الكلام عن الفراء، : «قال الفراء من خفّف فوجهه والله أعلم فصرفك إلىٰ أيّ صورة شاء إما حَسَن وإما قبيح وإما طويل وإما قصير، ومن قرأ فَعَدَّلك، فشدد وهو أعجب الوجهين إلىٰ الفراء وأجودهما في العربية، ومعناه جعلك مُعْتَدِلاً مُعْدَّلَ الخَلْق»[3].

ولعل ابن خلويه في الحجة في القراءات السبع وافق المفسرين والأزهري في

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج22 - ص75.

(2) أبوحيان الأندلسي - البحر المحيط - ج8 - ص428.

(3) ينظر الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 - ص74.

دلالة القراءتين بقوله: «فوجه التشديد فيه قومك وساوىٰ بين ما ازدوج من أعضائك ووجه التخفيف انه صرفك إلىٰ أي صورة شاء من طويل وقصير وحسن وقبيح»[1].

يمكن الاستخلاص أن معنىٰ عدّلك بالتشديد وهو التقويم، وبالتخفيف بمعنىٰ صرفك. كما يمكن الجمع بين القراءتين؛ فعدلك، بالتخفيف، أي صرفك ومال بك إلىٰ الصورة الجميلة كأنه عدّلك وقوّمك.

النموذج الثالث:

الآيـة: قـال الـلـه جـل وعـز: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ **[الإسراء: 106].**

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (فنقبوا) من حيث زيادة إسناد الفعل بين الناضي والأمر علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور فَرَقناه بتخفيف الراء.

- وقرأ أبيّ وعبد الله وعليّ وابن عباس وأبو رجاء وقتادة والشعبي وحميد وعمرو بن قائد وزيد بن عليّ وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن بخلاف عنه فرَّقناه بتشديد الراء[2].

أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة قولاً شافيًا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها، ورجح القراءة بالتخفيف لإجماع الجمهور

(1) ابن خلويه - الحجة في القراءات السبع - ص364.

(2) ينظر: الأزهري - تهذيب اللغة - ج9 - ص105.
وابن الزجري- النشر في القراءات العشر - ج2 - ص225.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص287.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج5 - ص133.

القراءة بها، حيث قال: «وقرآنا فرقناه لتقرأه اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار فرقناه بتخفيف الراء من فرقناه بمعنىٰ أحكمناه وفصلناه وبيناه وذكر عن بن عباس أنه كان يقرؤه بتشديد الراء فرقناه بمعنىٰ نزلناه شيئا بعد شيء آية بعد آية وقصة بعد قصة، وأولىٰ القراءتين بالصواب عندنا القراءة الأولىٰ لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة ولا يجوز خلافها»[1].

ولم يخرج القرطبي علىٰ تلك الدلالة التفسيرية للآية حيث قال: «وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه وأوضحناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل ... وفرّقناه بالتشديد أي أنزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة»[2].

يظهر من تفسير الطبري القرطبي للآية أن القراءة بالتخفيف غير القراءة بالتشديد، وذالك أن معنىٰ التخفيف كون القرآن الكريم جاء موضحا للأحكام ومبينا لها، والقراءة بالتشديد من التفريق أي التقسيم.

وزاد أبو حيان الأندلسي دلالة جديدة للقراءة بالتشديد وهي: «فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار مغيبات أتت وتأتي»[3].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقرئ ء (فَرَّقْناه) أنزَل الله جلّ وعزّ القرآن جملة إلىٰ سَماء الدُّنيا، ثم نَزَل علىٰ النبي ﷺ في عشرين سنة فرَّقه الله في التنزيل ليَفهمَه الناس، و(فَرَقناه) معناه أحكمناه»[4].

واستشهد علىٰ دلالة القراءة بالتخفيف بقوله تعالىٰ: ﴿مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ **[الدخان: 3، 4].**

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج15 - ص187.
(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج10 - ص339.
(3) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص84.
(4) الأزهري - تهذيب اللغة - ج9 - ص105.

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولى بالتخفيف (فرقناه) على أن الله ﷻ بيَّن حلاله وحرامه وفرق ﷻ فيه بين الحق والباطل وأحكمه وفصله، ودلَّت القراءة الثانية (فرّقناه) بالتشديد على أن الله سبحانه أنزل القرآن منجما، نجمًا بعد نجم، بحسب الأحداث والمناسبات.

المطلب الرابع

زيادة النون

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: 36].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (صَوَافّ) من حيث زيادة النون علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور (صَوَافّ) بدون نون.

- وقرأ عبد الله بن مسعود وابن عمر وابن عباس وقتادة ومجاهد وعطاء والضحاك والكلبي والأعمش (صَوَافِن) بالنون جمع صافنة[1].

أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنىٰ هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنىٰ الآية الكريمة يعتمد علىٰ القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنىٰ صواف وصوافن بالنون، وفي ذلك يقول الإمام الطبري: «صواف بمعنىٰ مصطفة واحدها صافة وقد صفت بين أيديها وروي عن بن مسعود أنه قرأه صوافن بمعنىٰ معقولة»[2].

ولم يخرج القرطبي علىٰ تلك الدلالة التفسيرية للآية حيث قال: «وصواف

(1) ينظر: الأزهري - تهذيب اللغة - ج12 - ص206.
والزجري- النشر في القراءات العشر - ج2 - ص225.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص287.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 ص115/ 117.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج17 - ص163/ 163.

قراءة الجمهور بفتح الفاء وشدها من صف يصف وواحد صواف صافة وواحد صوافي صافية ... صوافن بالنون جمع صافنة ... والصافنة هي التي قد رفعت إحدىٰ يديها بالعقل لئلا تضطرب»[1].

ووضح أبو حيان الأندلسي دلالة للقراءة بالنون بقوله وهي: «صوافن بالنون والصافنة من البدن ما اعتمدت علىٰ طرف رجل بعد تمكنها بثلاث قوائم وأكثر ما يستعمل في الخيل»[2].

يظهر من تفسير الطبري والقرطبي وأبي حيان للآية أن القراءة دون نون يختلف معناها عن القراءة بها، حيث ذكروا أن معنىٰ (صوافن) معقولة، ومعنىٰ (صواف) أي يصف بين يديها.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، وبيّن حجة كل من قرأ بالنون، فال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ابنُ مسعود وابنُ عباس يقرآن قولَ الله جلّ وعزّ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ [**الحج: 36**] بالنون فأمَّا ابن عباس ففسَّرها مَعقولة إحدىٰ يدَيْها علىٰ ثلاثِ قوائم، وأما ابن مسعود فقال يعني قيامًا»[3]، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تَـرَكْـنـا الـخَـيـلَ عـاكِـفَـةً عَـلَـيـهِ مُـقَـلَّـدَةً أَعِـنَّـتَـهـا صُـفـونـا[4]

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة علىٰ وجه من القراءة دون

---

(1) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج12ص: 62.

(2) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج6 - ص84.

(3) الأزهري - تهذيب اللغة - ج12 - ص145.

(4) الصفون جمع صافن وقد صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام علىٰ ثلاث قوائم وثنىٰ سنبكه الرابع.
ينظر: أبو عبد لله الحسين بن احمد الزوزنىٰ - شرح المعلقات السبع - تحقيق: لجنه التحقيق في الدار العالمية - دار العالمية - د. ط - 1993م - أحمد الأمين الشنقيطي - المعلقات العشر وأخبار شعرائها - دار النصر للطباعة والنشر - ط1 - د. ت - ص110.

غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولىٰ (صواف) علىٰ أن الله ﷻ أمر عباده عند ذبح الشاة بذكر الله حال كونها صواف، أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن فهو جمع صافة، ودلت القراءة الثاني بالنون (صوافن) بالنون جمع صافنة وهو إما من صفن الرجل إذا صف قدميه فيكون بمعنىٰ صواف، أو من صفن الفرس إذا قام علىٰ ثلاث.

الرابع

على مستوى إبدال الحروف من كلمة واحدة

- إبدال العين غينًا.
- إبدال الراء زايًّا.
- إبدال الضاد ظاءً.
- إبدال الحاء خاءً.
- إبدال الدال ذالاً.

المبحث الرابع

على مستوى إبدال الحروف من كلمة واحدة

المطلب الأول

إبدال العين غينًا

الآية: قال الله جل وعز: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30].

القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾ علىٰ وجهين بَيّنَهما أهل الاختصاص علىٰ النحو الآتي: قرأ الجمهور ﴿قد شغفها﴾ بالغين. وقرأ أبو جعفر محمد، وابن محيصن، والحسن، وأبو رجاء، والشعبي ﴿قد شعفها﴾ بالعين غير المعجمة[1].

أقوال المفسرين في الآية الكريمة:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنىٰ هذه الآية الكريمة علىٰ بيان معنىٰ كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

فأما القراءة الأولىٰ فقد قال فيها الطبري في تفسيره لهذه الآية: «قد وصل حبُّ يوسف إلىٰ شَغَاف قلبها فدخل تحته، حتىٰ غلب علىٰ قلبها»[2]. والشغاف هو

(1) ينظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج5 - ص301.
البغوي - معالم التنزيل - ج4 - ص236.
وشهاب الدين الدمياطي - حاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص231.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج4 - ص238. 176.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج12 - ص63.
والقرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج6 - ص129.

غِلافُ القَلْب وهو جلدة دُونَه كالحجاب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتىٰ أصاب القلب[1].

وإلىٰ المعنىٰ نفسه أشار الزمخشري بقوله: «شَغَفَهَا خرق حبه شغاف قلبها حتىٰ وصل إلىٰ الفؤاد والشغاف حجاب القلب»[2]

أما القراءة الثانية بالعين فمعناه قد ذهب بها يوسف كل مذهب، لأن شعاف الجبال أعاليها كما ذكر ذلك الزبيدي في تاج العروس[3].

وبين معناها الزمخشري قائلاً: «وقرئ (شعفها) بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران»[4].

ولم يخرج القرطبي في معنىٰ القراءة بالعين عما ذكره سابقوه وهو أحرق حبه قلبها[5].

وذكر الطبري الشعف في البغض والشغف في الحب[6].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري تباين معنييهما بعدما استشهد بالقراءتين وأعطىٰ لكل قراءة دلالتها بقوله: «من قرأها (شَعَفَهَاَ حُبًا) فمعناه تيمها ومن قرأها (شَغَفَهَاَ) قال: أصاب شغَافَها شَعَفه الحبُّ إذا بلغ منه، وفلانٌ مشعوفٌ بفلانة، وقد شعفَه حبُّها، ويقال شَعَفَ الهِناءُ البعير إذا بلغ منه ألمه»[7].

والملاحظ من نص الأزهري هذا أنه لم يخرج عن أقول المفسرين في دلالة

(1) ابن منظور - لسان العرب - ج9 - ص178.
(2) الزمخشري - الكشاف - ج2 - ص436.
(3) ينظر: الزبيدي - تاج العروس - ج4 - ص140.
(4) الزمخشري - الكشاف - ج2 - ص436.
(5) ينظر - القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج6 - ص129.
(6) ينظر - الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج12 - ص63.
(7) الأزهري - تهذيب اللغة ج1 - ص438.

أوجه القراءة بالعين والغين. وهي التتيم بالنسبة للقراءة الأولىٰ، وإصابة القلب بالنسبة للقراءة الثانية.

وذكر صاحب الإتحاف المعنىٰ نفسه علىٰ القراءتين: «شعفها بالعين المهملة قيل الشعف الجنون وقيل من شعف البعير إذا حناه بالقطران فأحرقه والجمهور بالغين المعجمة أي حرق شغاف قلبها»[1].

إلا أن هذا التباين ليس فيه تضاد؛ فالقراءة الثانية وضّحت وكمّلت معنىٰ القراءة الأولىٰ، فكأن حبها له وصل إلىٰ سويداء قلبها وتمكن منه حتىٰ بلغ منها كل مبلغ.

(1) شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص231.

المطلب الثاني

إبدال الراء زايا

الآية: قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: 259].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (نُشِزُهَا) من حيث الإبدال علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ننشرها بالراء.
- قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي نشزها بالزاي[1].

أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها، حيث قال عن القراءة الأولىٰ بالزاي: «ننشزها بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراءة الكوفيين بمعنىٰ وانظر كيف نركب بعضها علىٰ بعض وننقل ذلك إلىٰ مواضع من الجسم وأصل النشز الارتفاع ... كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فنردها إلىٰ أماكنها من الجسم»[2].

وأما القراءة بالراء فإن الطبري ذكر معناها بقوله: «ننشرها -بالراء- بضم النون

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص180.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج2 - ص305.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص164.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج1 - ص372.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج3 - ص43.

قالوا من قول القائل أنشر الله الموتىٰ فهو ينشرهم إنشارا، وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنىٰ وانظر إلىٰ العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحمًا»[1].

يظهر من تفسير الطبري للآية أن المعنىٰ انظر إلىٰ عظامك كيف ننشزها بعد بلاها ثم نكسوها لحما فنحييها بحياتك فتعلم كيف يحيي الله القرىٰ وأهلها بعد مماتها؛ فكيف ننشزها أي كيف نرفعها من الأرض فنردها إلىٰ أماكنها من الجسد، وأما ننشرها من أنشر الله تعالىٰ الموتىٰ أحياها ثم نكسوها لحما أي نسترها به كما نستر الجسد باللباس. وانظر إليها مركبة مكسورة وكيفية إنشازها وبسط اللحم عليها.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإِنْشَازُ نَقْلُها إلىٰ مَوْضِعها قال وبالزَّاي قرأَها الكوفيون»[2].

وبعدما أتىٰ بأقوال بعض العلماء في هذا المعنىٰ تحدث عن القراءة بالراء وقال: «من قرأها (كيف نُنشْرُها) بضم النون فإنشارها إحْياؤُها ... فكأَنه يَذْهَب إلىٰ النشرِ والطّيّ، والوجه أن يقال أنشرَ اللَّهُ الموْتىٰ فنَشروا هم، إذا حَيُوا»[3]. واستشهد بقول الأعشىٰ:

حتىٰ يَقولَ النّاس ما رَأَوْا يا عَجَبًا لِلمَيِّت النّاشرِ

وزاد ابن خلويه المعنىٰ إيضاحا وتابعه أبو حيان الأندلسي حين ذكرا أن معنىٰ قراءة ننشرها أي: «إحياؤها وبعثها بعد موتها، وأما قراءة ننشزها فمعناها نرفعها والإنشاز نقلها إلىٰ موضعها برفع بعضها إلىٰ بعض وتركبه علىٰ حالته الأولىٰ، فترفع العظام وتركب للإحياء، ومنه نشوز المرأة وهو ارتفاعها علىٰ زوجها[4].

(1) المصدر نفسه - ج3 - ص44.

(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 - ص200.

(3) المصدر نفسه - ج11 - ص232.

(4) الحسين بن أحمد بن خلويه - الحجة في القراءات السبع - ص321.
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج1 - ص296.

وقد جمع بين القراءتين ابن مجاهد بعدما بين دلالة كل قراءة بقواه: «بالراء وبالزاي لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام وذلك أن الله تعالىٰ أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلىٰ بعض حتىٰ التأمت، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات، ورفع بعضها إلىٰ بعض لتلتئم، فضمن تعالىٰ المعنيين في القراءتين تنبيها علىٰ عظيم قدرته»[1].

فحاصل ما قال الأزهري وابن مجاهد وابن خلويه أن الله بين كيفية إحياء الموتىٰ، وذلك بإحياء العظام وبعثها من موتها التي كانت فيها كما دلت عليه القراءة بالراء، وبينت القراءة بالزاي كيفية إحياء العظام، وذلك برفع بعضها إلىٰ بعض حتىٰ التأمت فضمن الله تعالىٰ المعنيين في القراءتين، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلىٰ بعض لتجتمع بعد تفرق فضمن تعالىٰ المعنيين -كما قال ابن مجاهد- في القراءتين تنبيهًا علىٰ عظيم قدرته فدل بالقراءتين علىٰ عظيم قدرته سبحانه في البعث والإحياء والتركيب من غير تناقضٍ أو تباينٍ أو تضادٍ فيهما.

(1) ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص49.

المطلب الثالث

إبدال الضاد ظاء

الآية: قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ من حيث الإبدال واختلاف الحروف علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بِضنين بالضاد.
- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بظنين بالظاء[1].

أقوال المفسرين:

تدور أقوال المفسرين في الآية المباركة بشرح معنىٰ كل قراءة من القراءتين، فهذا الطبري بين دلالة القراءتين بقوله: «بضنين بالضاد بمعنىٰ أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علمه الله وأنزل إليه من كتابه ... وبظنين بالظاء بمعنىٰ أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء»[2].

ووافقه القرطبي علىٰ ذلك، فقال: «بالظاء قراءة بن كثير وأبي عمرو والكسائي أي بمتهم والظنة التهمة ... وقرأ الباقون بضنين بالضاد أي ببخيل»[3].

وحاصل ما قال الطبري والقرطبي أن بضنين بالضاد، معناه ببخيل، أي ليس

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص673.
ابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص398.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص574.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج10 - ص330.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج30 - ص81.

(3) نفسه - ج19 - ص242.

بخيل بالوحي بما أنزل الله من القرآن فلا يكتمه أحدًا، تقول العرب ضننت بالشيء أضن به إذا بخلت به ولم يشذ عن هذه المعاني جمهور المفسرين وأصحاب كتب علل القراءات[1].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظَّنِينُ المعادِي والظَّنِينُ المتَّهم الذي تُظَن به التهمة ومصدرُه الظِّنَّة بالتشديد، والظَّنون الرجلُ السيئ الظَّنِّ بكل أحد والظَّنُون الرجلُ القليل الخيرِ ... وقول الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24] معناه ما هو علىٰ ما ينبئُ عن الله من علم الغيب بمُتَّهمٍ»[2].

وقد جمع بين المعنيين ابن مجاهد حين تحدث عن أوجه اختلاف القراءات بقوله: «بالظاء وبالضاد؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي وذلك أنه كان غير ظنين علىٰ الغيب أي غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالىٰ وغير ضنين به أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه فقد انتفىٰ عنه الأمران جميعا فأخبر الله تعالىٰ عنه بهما في القراءتين

وبهذا يتحصل أن القراءتين وإن اختلف لفظهما فلم يتناقض أو يتضاد معناهما، بل تصدق بعضهما بعضًا، وكل قراءة تزيد معنىٰ جديدًا تكمل به القراءة الأخرىٰ، وذلك أنه ﷺ كان غير متهم فيما أخبر به عن الله ﷻ، **وغير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه فقد انتفىٰ عنه الأمران جميعًا، فأخبر الله تعالىٰ عنه بهما في القراءتين.**

والمفيد في الكتب التي اختصت بالحديث عن الظاء والضاد في القراءة والأداء هو انفرادها برواية النظائر بشيء من التوسع والشمول والاعتماد علىٰ ما

(1) ينظر: الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج80 ص44.
والقرطبي- الجامع لأحكام القرآن - ج19 - ص242.

(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج14 - ص260.

قرره علماء اللغة في معجماتهم، كما أنها أصبحت مضان الدارسين في هذا الباب، لأنها عالجت ما أصاب بعض المتأخرين من الخلط بين الحرفين في النطق مع أن معناهما مختلف في بناء الكلمة، مثلما رأينا في دلالة القراءتين، فوضعت هذه الكتب الضوابط للتفريق بين الحرفين مع ذكر المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ.

المطلب الرابع

إبدال الحاء خاء

الآية: قال الله جل وعز: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: 7].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (سَبْحًا) من حيث الإبدال علىٰ وجهين بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور غير حمزة (سبحا) بالحاء.
- وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة سبخًا بالخاء[1].

أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنىٰ هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنىٰ الآية الكريمة يعتمد علىٰ القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنىٰ سبحا وسبخا

فهذا الزمخشري يبن دلالة القراءتين في الآية الكريمة بقوله: «سَبْحًا تصرفًا وتقلبًا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل، فعليك بمناجاة الله التي تقتض فراغ البال وانتفاء الشواغل، وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرّق القلب بالشواغل»

ولم يخرج القرطبي عما ذكره الزمخشري إلا أنه أضفىٰ علىٰ الآية نوعا من الدلالات التفسيرية لكل قراءة، فقال: «قراءة العامة بالحاء غير معجمة أي تصرفا

(1) ينظر: أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج8 - ص363.
ابن الزجري- النشر في القراءات العشر - ج2 - ص384.
وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص420.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج9 ص334.

في حوائجك وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران، ومنه السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه، وفرس سابح شديد الجري ... وقيل السبح الفراغ؛ أي إن لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل إن لك في النهار سبحا أي نوما، والتسبح التمدد، وقرأ يحيي بن يعمر وأبو وائل سبخا بالخاء المعجمة ومعناه النوم روىٰ ذلك عن القارئين بهذه القراءة وقيل معناه الخفة والسعة والاستراحة»[1].

يمنكن الاستنتاج من قول الزمخشري والقرطبي أن للفظة سبحا دلالات تفسيرية عديدة، منها: التصرف والجري والدوران والفراغ، ومن معاني لفظة سبخا عنده النوم أو الخفة أو السعة أو الاستراحة.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، واستشهد علىٰ ذلك بالعديد من الشواهد القرآنية والحديثية وغيرهما، وذكر أقوال من أخذ عنهم بنصهم، يقول في ذلك: «قال الليث معناه فراغًا للنوم ويكون السَّبْحُ أيضًا فراغًا بالليل، وقال الفرَّاء يقول لك في النهار ما تقضي حوائجك وقال أبو إسحاق سَبْحًا طوِيلاً قال فَرَاغًا وتَصَرُّفًا، ومن قرأ سَبْخًا فهو قَرِيبٌ من السَّبْح، وقال ابن الأعرابي من قرأ سَبْحًا فمعناه اضطرابًا ومعاشًا، ومن قرأ سَبْخًا أراد راحة وتخفيفًا للأبدان، وقال ابن الفَرَج سمِعتُ أبا الجهم الجَعْفَرِي يقول سَبَحْتُ في الأرض وسبَخْتُ فيها إذا تباعدت فيها ... سَبْحًا طويلاً أي مُنْقَلَبًا طويلاً»[2].

والملاحظ من هذا النص أن الأزهري لم يظهر رأيه في دلالة أوجه القراءة، وإنما أتىٰ بأقوال العلماء في معاني القراءتين، وأن هناك تجاوبا بين ما ذكره هو وما ذكره المفسرون؛ فالأول بالحاء معناها يختلف عن معنىٰ الثانيةبالخاء كما بين إلا أنه بين أن معناهما قريب علىٰ حسب قول أبي إسحاق الذي ذكره في نصه السابق.

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج27 - ص129.

(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج14 - ص369.

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولى بالحاء على أن الله ﷻ قال لمحمد ﷺ بأن لك في النهار تصرفا في أمورك وحوائجك، ودلّت القراءة الثانية بالخاء على أن الله ﷻ قال لمحمد ﷺ بأن لك راحة ونوما بالنهار، وكأن القراءة بالحاء تدل على أن محمد ﷺ سيستريح ليلا من مشاغل النهار، وأما القراءة بالخاء تنبئ بأن محمد ﷺ ينام ويستريح بالنهار ليستعدّ لقيام الليل.

المطلب الخامس

إبدال الدال ذالا

الآية: قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿حَذِرُونَ﴾ من حيث الإبدال واختلاف الحروف علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش وزيد بن علي ابن ذكوان وهشام من طريق الداجوني حَاذِرُونَ بالذال.

- وقرأ ابن مسعود وأبو عماد سميط بن عجلان وابن أبي عمار وابن السميفع حادرون بالدال المهملة[1].

أقوال المفسرين:

تدور أقوال المفسرين في الآية المباركة بشرح معنىٰ كل قراءة من القراءتين، فهذا الطبري بين دلالة القراءة بالدال بقوله: «وإنا لجميع حاذرون بمعنىٰ أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح»[2].

بين الزمخشري تغاير معنييهما وأشار إلىٰ كل معنىٰ منهما بقوله: «والحاذر الذي يجدّد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرًا واحتياطًا لنفسه والحادر السمين القوي أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص471.
وابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص335.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص332.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج6 - ص421.

(2) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج19 - ص77.

قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم»[1].

وأما القرطبي فإنه ذكر معنىٰ القراءتين بقوله: «ومعنىٰ حاذرون متأهبون ... أما (حَادِرُونَ) بالدال فمشتق من قولهم عين حدرة أي ممتلئة أي نحن ممتلئون غيظا عليهم»[2].

وحاصل ما قال الطبري والزمخشري والقرطبي أن حاذر بالألف اسم فاعل يفيد التجدد والحدوث، والحاذر التام السلاح بمعنىٰ صاحب حذر، وأما القراءة بالدال حادرون فهي من قولهم عين حدرة والمعنىٰ ممتلئون غيظا وأنفة أو أنهم أقوياء أشداء.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، حيث بدأ ذلك الاستشهاد علىٰ القراءة بالدال، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ [**الشعراء: 56**]. بالدال وقال مُؤدون بالكُرَاع[3] والسِّلاح ... والقراءة بالذال حاذِرون لا غير والدَّال شاذَّة لا يجوز عندي القراءة بها»[4].

والملاحظ من قول الأزهري أنه بين دلالة القراءة بالدال، وردّها لكونها شاذة.

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة علىٰ وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولىٰ بالذال (حاذرون) علىٰ أنهم مستعدون لأي هجوم، ودلت القراءة الثاني بالدال (حادرون) علىٰ أنهم أقوياء وأشداء، أو أنهم ممتلئون غيظًا.

---

(1) الزمخشري- الكشاف - ج3 - ص321.

(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج13 - ص111.

(3) الكراع من الإنسان ما دون الركبة إلىٰ الكعب ومن الدواب ما دون الكعب. ابن منظور - لسان العرب - ج8 - ص306.

(4) الأزهري - تهذيب اللغة - ج4 - ص409.

المطلب السادس

إبدال القاف كافًا

الآية: قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: (تَقْهَرْ) من حيث الإبدال واختلاف الحروف علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور بالقاف تقهر.

- وقرأ عبد الله ابن مسعود وإبراهيم التيمي والنخعي والشعبي والأشهب العقيلي تكهر بالكاف[1].

أقوال المفسرين:

لعلم أهل التفسير بما للقراءات القرآنية الكريمة من عميق أثر في الكشف عن معاني الآيات الكريمة فإنهم لا يكادون يدعون آية تنوعت أوجه أدائها إلا حاولوا بيان معاني هذه الأوجه والجمع بينها. وهذا أمر جلي في أقوالهم، ومن ذلك ما أورده الإمام القرطبي ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]. أي لا تسلط عليه بالظلم أدفع إليه حقه وأذكر يتمك قاله الأخفش وقيل هما لغتان بمعنىٰ، وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر وقرأ النخعي والأشهب العقيلي: (تَكْهَرْ) بالكاف، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود فعلىٰ هذا يحتمل أن يكون نهيا عن قهره بظلمه وأخذ ماله»[2].

---

(1) ينظر: ابن مجاهد - السبعة في القراءات - ص673.
وابن الزجري - النشر في القراءات العشر - ج2 - ص398.
شهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص574.
وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج10 - ص330.

(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج20 - ص100.

وزاد الزمخشري المعنىٰ وضوحا بقوله: «فَلاَ تَقْهَرْ فلا تغلبه علىٰ ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود ﴿فَلاَ تَكْهَرْ﴾ وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه»[1].

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة القراءة بالكاف ورجح كون معنييهما واحد، وهذا خلاف لما ذكره المفسرون، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكَهْر الانتهارُ، يقال منه كَهَرْتُ الرجلَ، وأنا أكهَرُهُ كَهْرًا وهي في قراءة عبد الله ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]. قلت معناه لا تَقْهَرْه علىٰ ماله ... الكَهْر القهر، والكَهْرُ عبوس الوجه، والكَهْرُ الشَّتْمُ، والكَهْرُ المصاهرة»[2].

والملاحظ من قول الأزهري أنه جعل دلالة القهر نفسها دلالة الكهر ثم ذكر بعض المعاني منها القهر والشتم عبوس الوجه. واستشهد علىٰ هذا المعنىٰ بحديث معاويةَ بن الحكم السُّلَمِيِّ أنه قال: «ما رأيْتُ معلِّمًا أَحْسَن تَعْلِيمًا مِنَ النبي ﷺ والله ما كَهَرني ولَا شَتَمَنِي»[3].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة علىٰ وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلَّت القراءة الأولىٰ بالقاف (تقهر) علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر نبيه ﷺ أن لا يقهر اليتيم ولا تأخذ ماله وتظلمه، ودلت القراءة الثاني بالكاف (تكهر) علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر نبيه ﷺ أن لا يشتم اليتيم ولا تجعل وجهك عبوسا. ولا تضاد في القراءتين، وذلك أنه مطلوب من المرء أن لا يظلم اليتيم بل أكثر من ذلك أن لا يشتمه ولا يدير عنه وجهه.

(1) الزمخشري - الكشاف - ج3 - ص321.
(2) الأزهري - تهذيب اللغة - ج6 - ص11.
(3) مسلم بن الحجاج النيسابوري - صحيح مسلم - ج1 - ص381.

المطلب السابع

إبدال الضاد صادا

الآية: قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: 10].

القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالىٰ: ﴿ضَلَلۡنَا﴾ من حيث الإبدال واختلاف الحروف علىٰ وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص علىٰ النحو التالي:

- قرأ الجمهور ضللنا بالضاد.

- وقرأ علي وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد بن العاص وقتادة صللنا بالصاد الراء[1].

أقوال المفسرين:

تدور أقوال المفسرين في الآية المباركة بشرح معنىٰ كل قراءة من القراءتين، فهذا الطبري بين دلالة القراءتين بقوله: «يقول تعالىٰ ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث أئذا ضللنا في الأرض أي صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض ... وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ أئذا صللنا بالصاد بمعنىٰ أنتنا من قولهم صل اللحم وأصل إذا أنتن وإنما عنىٰ هؤلاء المشركون بقولهم أئذا ضللنا

(1) الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 ص113.

والقرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج14 - ص91.

أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج7 - ص200.

وشهاب الدين الدمياطي - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ص450.

وعبد اللطيف الخطيب - معجم القراءات - ج7 - ص224/ 225.

في الأرض أي إذا هلكت أجسادنا في الأرض لأن كل شيء غلب عليه غيره حتىٰ خفي فيما غلب فإنه قد ضل فيه»[1].

ووافقه القرطبي علىٰ ذلك، فقال: «هذا قول منكري البعث أي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا وأصله من قول العرب ضل الماء في اللبن إذا ذهب ... وقرأ الأعمش والحسن صللنا بالصاد أي أنتنا وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[2].

وحاصل ما قال الطبري والقرطبي وغيرهما من المفسرين[3]، أن ضللنا بالضاد الهلاك والبطلان، وبالصاد صللنا أي أنتنّا.

توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون.

أما بالنسبة للقراءة بالضاد ضللنا، فأنه قال: «وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: 10]. معناه أئذا مِتْنَا وصِرْنا تُرابًا وعِظامًا فضللنا في الأرض فلم يتبيَّن شيءٌ من خَلْقِنا»[4].

أما بالنسبة للقراءة بالصاد فقد استشهد بهذا الوجه وبين دلالته بقوله: «مَنْ قرأ ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: 10] بالصاد فهو علىٰ ضربين:

أحدهما: أَنْتَنَّا وتغيَّرْنا وتغيرت صوَرُنا يقال صلَّ اللحمُ وأَصلَّ إذا أنتَن وتغيَّر، والضربُ الثاني: (صلَلْنا) يَبِسنا من الصلَّة وهي الأرضُ اليابسة»[5].

فبين رحمه الله أن القراءة بالصاد تحتمل معنيين؛ الأول أنتنا وتغيرنا، والثاني يبسنا.

---

(1) الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج21 - ص96.

(2) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج14 - ص92.

(3) ينظر: الزمخشري - الكشاف - ج3 - ص516.
وأبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - ج7 - ص195.

(4) الأزهري - تهذيب اللغة - ج11 - ص319.

(5) الأزهري - تهذيب اللغة - ج12 - ص80.

وبهذا يتحصل أن القراءتين وإن اختلف لفظهما فلم يتناقض أو يتضاد معناهما، بل تعد القراءة الثانية بمثابة آية ثانية، فكل قراءة تزيد معنىٰ جديدًا تكمل به القراءة الأخرىٰ، أو توضحه، حيث دلَّت القراءة الأولىٰ (ضللنا) علىٰ أن المكذبين بالبعث قالوا أئذا متنا وذهبنا في الأرض هل من عودة وحياة بعد ذلك، ودلت القراءة الثانية بالصاد (صللنا) علىٰ أن المنكرين للبعث تعجبوا في رجوعهم وبعثهم بعدما تنتن أجسامهم، إلا أنه يمكن الجمع بينهما لأن الميت والمهلك لابد أن ينتن جسمه ويدخل الأرض.